اتحاف الورى

بما تيسر من أحكام البدعة والهوى

تأليف

أبي العباس / نصر صالح الخولاني

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن يحيى البرعي

دار التيسير
صنعاء

مكتبة الثقافة
عدن

اتحاف الورى

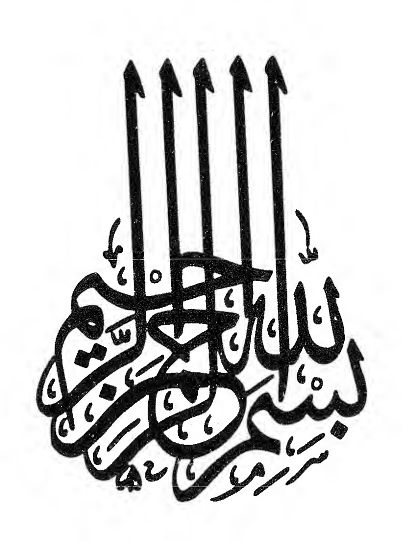
بما تيسر من أحكام البدعة والهوى

تأليف
أبي العباس / نصر صالح الخولاني

راجعه وقدم له
فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن يحيى البرعي

دار التيسير
صنعاء

مكتبة الثقافة
عدن


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

إيماناً مني بقوله عز وجل ﴿ وإذ تأذن ربكم لأن شكرتم لأزيدنكم ولإن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم -٧] وقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما في مسند الإمام أحمد من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه (إن اشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس) .

أحمد الله العلي العظيم وهو للحمد أهل ولا حول ولا قوة إلا به ، أحمده ربي على نعمه العظيمة التي لا تحصى ، ومن أجلها وأعظمها نعمة الهداية والتوفيق لسبيل العلم النافع والعمل الصالح .

وأسأله سبحانه المزيد من فضله إنه جواد كريم بر رحيم .

كما أشكر كل من كان له الفضل عليّ بعد الله عز وجل في تحصيلي العلمي ، وأخص منهم بالشكر والتقدير مشائخي الكرام الأفاضل .منهم شيخ مشايخنا الوالد المحدث العلامة | أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله تعالى وشفاه وعافاه ورزقه الصحة في بدنه والقوة في علمه وأدامه لنصرة السنة والحق. وهكذا شيخنا الوالد الفاضل المحدث | أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني حفظه الله وبارك في عمره وعلمه وجعله ذخراً للسلفية . والشيخ الفاضل والداعية المحنك | أبو ذر عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله والذي أعطاني من وقته فراجعت هذا المؤلف عليه في إحدى أسفاره الدعوية ، وقد تفضل حفظه الله ورعاه بكتابة مقدمة مختصرة فجزاه الله خيراً . ولا أنسى في هذا المقام ما قدم لي والداي حفظهما الله تعالى من كل سوء ومكروه ، فلهما يعود الفضل بعد الله عز وجل في تفرغي لنيل العلوم الشرعية ، فجزاهما الله خيراً ورحم ضعفهما وجعلني قرة عين لهما ووفقني لبرهما والإحسان إليهما . كما أشكر كل من ساعدني على نشر وطبع وإخراج هذا المصنف إلى حيز الوجود ومد إليّ يد العون وأخص منهم :

الأخ الفاضل : عبد الخالق بن عبد المجيد مشعبي . والأخ الفاضل | أبو سعيد معمر بن يسلم بن طالب حفظه الله تعالى . والأخ الفاضل | أبو البراء عبد المجيد بن حمود بن عامر حفظه الله ووفقه لمواصلة العلم . والأخ الفاضل | أبو عبد الله شعبان بن عبود الحداد حفظه الله تعالى . والأخ الفاضل | أبو صالح فهد بن مطلق بن طالب حفظه الله تعالى . والأخ الفاضل | شايف الخطيب حفظه الله تعالى ورعاه . والوالد الفاضل | أبو أمين سيلان بن محفوظ عباد رعاه الله ومتعه بعمره في طاعته سبحانه . وهكذا سائر الأخوة القائمين على دار التيسير فقد تفضلوا بطبع هذا الكتاب فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم وفي دارهم .

والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

تقديم فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن يحيى البـرعي حفظه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة المسماة : "إتحاف الورى بما تيسر من أحكام البدعة والهوى " التي ألفها أبو العباس نصر بن صالح الخولاني ، فألفيتها رسالةً نافعةً مدعمة بالأدلة من كلام الله و كلام رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- . وقد عقد فصولاً مهمة من تتبعها علم أهميتها ، ولذا فأنصح طلبة العلم وغيرهم باقتنائها والاستفادة والإفادة منها ، مع الدعاء لكاتبها نسأل الله عز وجل أن يبارك فيه وفي علمه وأن ينفع به وبكتابه الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .

كتبه

عبد العزيز بن يحيى البرعي

١٢/شعبان/١٤٢١هـ

اليمن – إب– مفرق حبيش

هاتف : ٤٣٣٢٤٥/٤/٠٩٦٧

ص ب : (٩٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

واشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ . [آل عمران - ١٠٢]

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ . [الأحزاب-٧١]

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحد وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ . [النساء-١]

أما بعد :

فإن الناظر المتبصر ، لأحوال الناس ومعاشهم المتعسر ، يجد ما يعجب منه اللبيب ، من ظهور البدع المستفيضة التي كان من آثارها المجنية تشويه جمال الدين الحنيف ، والشرع الشريف ، وافتتان الرعاع ومن لا علم عنده بها . فانكب كثير من الناس ورائها قبلاً ، واتخذوها ديناً وسبلاً ، وحسبوا أن لا تكون فتنة ، وابتغوا بها القربة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

فإلى دعاة الإسلام ، والعاملين في حقل الدعوة السلفية ، أقدم هذا البحث المتواضع المستقى من كتب سلفنا الذاخرة ، التي حوت الكتب النفيسة ، فيها الأقوال والأحكام والعبر المدعمة بالأدلة الصحيحة .

وهذه الرسالة عبارة عن « وصايا عظيمة وحكم بليغة واصول وقواعد تمثل سبيل المؤمنين ، ونهج السلف الصالح ، وعلماء السنة .

فعليك أخي الكريم بها ، وإياك وحذلقة المتحذلقين ، وتكلفات المتكلفين ، وشعارات المهرجين . ولا تنخدع بدعاوي المخالفين من الجماعات والاتجاهات التي لا تلتزم طريق أئمة الهدى ، ولا تدين للمشايخ الفضلاء بفضل ولا قدوة ، فإنها في سبيل الهوى والشذوذ والهلكة ولو بعد حين ، فإن الأمر لا بد أن ينجلي عن الحق ، فاصبر على السنة ، ولو شعرت بالغربة ، وإياك والقنوط واليأس ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . (١)

---

(١) مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع . ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٦٩ .

ألا هل من ناظر إلى العدو الصائل ، فيتخذ له الدواء العاجل .

إننا لو كشفنا الستر لوجدنا ، سبب الداء العضال في هذه الأمة يرجع رأساً إلى قلة بيان المبينين للمنهج السلفي في التلقي والاستدلال ، وفي معاملة الصديق والعدو والقريب والبعيد .

فما أقل من نصب نفسه ناصحاً للأمة ، وحذرها من الأهواء والبدع المضلة ، وبصرها بأحوال السلف . ربطاً للحديث بالقديم من حيث الثبات على الحق ، والاستماتة دونه ، والذب عن السنة وأهلها ، والتحذير من البدعة وأهلها ، فتحيا السنن وتنتشر ، وتموت البدع وتندثر .

فبين يديك هذا المختصر ، من مواقف السلف وأقوالهم معتصر ، نصيحة للأمة ، وتشميراً لعلو الهمة ، للعمل بالكتاب والسنة والذب عنهما ، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، فيظهر الحق الأبلج ، وينكسر ويختفي الباطل اللجلج .

« رزقنا الله الاتباع وأحياء السنن ، وجنبنا البدع والأهواء في السر والعلن ». [1]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قاله مستمداً من الله العون

أبو العباس / نصر بن صالح الخولاني

غفر الله له ولوالديه .

(١) الأمر بالإتباع للسيوطي رحمه الله تعالى . ص ٧٩.

الفصل الأول
وفيه مباحث

المبحث الأول : الاعتصام بالكتاب والسنة :-

اقتضت رحمة الله تعالى لعباده أن جعل لكل داء دواء ، إلا السام . علمه من علمه وجهله من جهله ، فجعل الله لكل شيءٍ سبباً ، فخلق الخلق لا ليستكثر بهم من قلة ، ولا ليتقوى بهم من ضعف ، سبحانه جل عن الشبيه والنظير ، خلقهم لحكمة عظيمة ، وأمانة شريفة ، فلم يتركهم هملاً ، ولم يذرهم سداً ، فتعالى الله القائل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ [الذاريات – ٥٦/٥٨] .

فالجن والإنس كلهم عبيد له ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ . [مريم – ٩٣/٩٥]

أسبغ الله على عباده نعمه الظاهرة والباطنة ، التي لا يحصيها عدداً إلا هو سبحانه ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم – ٣٤] . ومن أجلّ النعم نعمة العلم والعمل الصالح ، التي من أجلّها بياناً وإيضاحاً ، أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وأنزل الكتب تبياناً وتفصيلاً لكل شيء .

فمن رام الهدى والرشاد لجّ الباب ، فمن لجّ ولج ، ومن جدّ وجد ، وعليه أن يلتمس سبيل الخير والهدى ، باتباع هدي المصطفى –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ، فهو الطريق إلى مرضات رب العالمين ، وما سواه من الطرق مسدودة منقطعة ، فانفرد طريقه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – الذي رسمه بأقواله وأفعاله وتقريراته ، فلهذا وذاك أوجب الله علينا الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة والعض عليها بالنواجذ كما كان سلف الأمة ، وخير قرونها . وتجد هذا ضرورة معلومة من الدين ، فنصوصه محكمة قاطعة في الدلالة والثبوت ، مأخوذة مأخذ التسليم لشهرتها ، فهي اكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . فوجب على السالك سبيل الحق أن يكون وقافاً عند حدود الله مكتفياً بما شرع الله سبحانه وتعالى ، لا يقول كيف ولا لَمَ بل هو الاستسلام والإذعان والانقياد والانكسار بين يدي رب العباد ، فلا تجده يَقدِم على تحريف النصوص وتأويلها بغير حجة ، ولا قرينة تدعو إلى التأويل ، بل هو الاتباع المجرد الذي أساسه الإخلاص واقتفاء آثاره –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ، فلا تجده رفع قولاً فوق قول الله ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ، بل يسير سير الحذر من أن يقع بين يدي شهواته وأهوائه ، فأنعم به من عبد عرف حكمة خلقه ، فأقام أساسها ، وعرف عظمة ربه الذي خلق السموات والأرض ، والذي بيده الضر والنفع والموت والحياة والنشور ، وكل إليه راجعون ، فخافه من أن يقع في معصيته ومحادته ومشاققته . ولو أن الخلق عرفوا ما عرف ، وأدركوا هذه الحقيقة وهذا الأصل الأصيل لسدت أبواب

فتحت للناس البدع والضلال ، ولما كان الهوى متبعاً على حساب الكتاب والسنة ، ولا ظهر للمبتدعة رأي ، ولما قام لهم سوق ،فحينئذ « تظهر أنوار الشرع ، وتسطع شمول العدل ، وتهب رياح الدين ، وتستعلن كلمة الله في عباده ، وترتفع أوامره ونواهيه ، وتقوم دواعي الحق ، وتسقط دواعي الباطل ، وتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو المرجوع إليه ، المعول عليه ، وكتابه الكريم وسنة رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - هما المعيار الذي توزن به أعمال العباد ، ويرجع إليهما في دقيق الأمور وجليلها ، وبذلك تنجلي ظلمات البدع ، وتنقصم ظهور أهل الظلم ، وتُنكر نفوس أهل ماصي الله وتخفق رايات الشرع في أقطار الأرض ، ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل »[1] ويعيش أهل الإسلام في ظل بركة الكتاب والسنة .

فياليت قومي يعلمون ويدركون اثر ذلك فيشمروا عن سواعدهم للنهوض بهذا الأصل القويم ، والصراط المستقيم الذي رضيه لنا العزيز الحكيم ، وأتمه نعمة على عبده ورسوله المنعوت بكونه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، نطق به الكتاب ، وسار عليه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والأصحاب .

«وبالجملة :- فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وحدث به ، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به »[2] محذراً منه ، فقامت الحجة على الخلق ، واستبانت المحجة .. وعُلِمَ أن الذوق والحال والكشف والوجد والمنامات محكوم عليها بحاكم آخر ، وليست مصدراً للتحاكم إليها ، كما سلكها بعض الزائغين وهذا هو « منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة ، حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون إليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل ، فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص ، وحكموا الأذواق والحال والمواجيد ، فعظم الفساد ، وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم »[3] فعلى العبد السالك أن يعلم بوجوب طاعة نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لأمر الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه العزيز ، وتنصيص السنة على هذا المقام أيضاً ودونك بعض تلك الأدلة :-

فمن أدلة الكتاب :-قال الله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ [آل عمران - ١٣٢] .

قال تعالى : ﴿ وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً * من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن يتول فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ [النساء - ٧٩/٨٠] . وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ... ﴾ [النساء - ٥٩] وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ [النساء - ١٣] وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله

---

(١) رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة . المطبوع ضمن - الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية - ص ١٨.

(٢) رسالة في السماع والرقص للمنبجي الحنبلي - رحمه الله تعالى - ص٣٨.

(٣) المصدر السابق ص ٣٩.

وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ [المائدة – ٩٢] وقال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ [الأنفال – ١] وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ [الأنفال – ٢٤] وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [الأنفال – ٤٦] وقال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور – ٥١] وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ [النور – ٥٦] وقال تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور – ٥٤] وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور – ٦٣] وقال تعالى : ﴿ من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب – ٧١] وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد– ٣٣] وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ [الأحزاب – ٣٦] وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً ﴾[الفتح – ١٧] وقال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾[الأعراف–٣] وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [الحشر– ٧] وقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران – ٣١]

وهذا قليل من كثير وفيه كفاية لمن طلب الهداية .

ومن أدلة السنة :

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه –عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال : (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) .

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – : (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثاً أصاب أرضاً فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء ونفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكان منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .

وفي البخاري [1] عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه –أن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة . ومن عصاني فقد أبى) .

وفي البخاري أيضا مع الفتح رقم (٧٢٣٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاءت الملائكة إلى النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم والقلب يقظان فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً قال فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فمن أطاع محمداً –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فقد أطاع الله ومن عصى محمداً –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فقد عصى الله ومحمد فرّق بين الناس) .

وفي البخاري مع الفتح رقم (٧٢٣٨) عن أبي موسى – رضي الله تعالى عنه –عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت جيشاً بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به)

وجاء عند مسلم وغيره عن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه –أن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله

(١) مع الفتح رقم (٧٢٨٠) . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

وسلم – قال : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) .

وروى الإمام مسلم (٧/١٢٢-١٢٣) عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يوماً بماء يدعا (خما) بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) وفي لفظ (من تمسك به واخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل) . (١)

وفي المسند (٥/٤٠٩) عن مجاهد قال : دخلت أنا ويحيى بن جعدة على رجل من الأنصار من أصحاب الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال : ذكروا عند رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – مولاة لبني عبد المطلب أنها تقوم الليل وتصوم النهار فقال : قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – لكني أنا أنام واصلي وأصوم وافطر فمن اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني إن لكل عمل شرة ثم فترة فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى) . (٢)

وفي المسند أيضا بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – : (لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنة فقد افلح ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك) . (٣)

وثبت عند الترمذي وأبي داود عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال : (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه). (٤)

وجاء أيضا عند الترمذي وأبي داود وغيرهما من حديث العرباض بن سارية – رضي الله تعالى عنه –قال : وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها

---

(١) انظر الصحيحة (٤/ ٣٥٦) .

(٢) صححه شيخنا مقبل بن هادي – حفظه الله تعالى – في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١/٧٦-٧٧) .

(٣) انظر الجامع الصحيح لشيخنا – حفظه الله تعالى – (١/٧٧) .

(٤) رواه أبو داود (١٢/٣٥٦) والترمذي (٧/٤٢٤) وصححه شيخنا حفظه الله تعالى- في الجامع الصحيح (١/٤٧) و (٣/٥١١) .

العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فكل بدعة ضلالة) . [1]

وروى عبد ابن حميد في المنتخب من المسند (٥٨/١) عن أبي شريح الخزاعي – رضي الله تعالى عنه –قال : خرج علينا رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فقال : (أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله واني رسول الله ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإن هذا القرءان طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً) .[2]

(١) حديث صحيح ، أخرجه الترمذي رقم (٢٦٧٦) وأبو داود رقم (٤٦٠٧) وأحمد في المسند (١٢٦/٤و ١٢٧) وغيرهم .وانظر جامع شيخنا (١٩٩/١) .

(٢)انظر تخريجه في الصحيحة للعلامة المحدث الألباني – رحمه الله تعالى – (٣٣٠/٢) رقم (٧١٣)

من آثار السلف :

أخرج الدارمي في سننه (٦٩/١) كتاب العلم عن ابن مسعود رضي الله عنـه قـال : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) . (١)

وقال أيضاً : (ستجدون قوماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظـهورهم ، فعليكـم بـالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق) (٢) والعتيق هو القديم والمراد به سـنة النبي -صلى الله عليـه وعلى آله وسلم - . وجاء في البخاري (٣) عن حذيفة أنه قال : (يـا معشـر القـراء اسـتقيموا فقـد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً فقد ضللتم ضلالاً بعيداً) . وقال ابن عمر رضـي الله عنـهما : (لا يـزال الناس على الطريق ما تبعوا الأثر) . (٤)

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول : (اتباع السنن قوام الدين) .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على السنة ويعظمونـها فقـد أخـرج مسـلم (٢/٩٠٦-٩٠٧) رقم (١٢٣٥) عن محمد بن عبد الرحمن أن رجلاً من أهل العراق قال له : (سـل لي عـروة بـن الزبـير عـن رجل يهل بالحج فقال الرجل من أصحاب رسـول الله -صلى الله عليـه وعلى آلـه وسـلم - يـأمر النـاس بالعمرة في هؤلاء الأشهر وليس فيها عمرة فقال : ألا تسأل أمك عن ذنبك . فقال عروة إن ابا بكر وعمـر لم يفعلا ذلك قال الرجل من هنا هلكتم ما أرى الله إلا يعذبكم أحدثكم عـن رسـول الله -صلى الله عليـه وعلى آله وسلم - وتخبروني بأبي بكر وعمر) .

وفي الصحيحين (٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قـال : (إذا استاذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعـها) ، فقـال بـلال بـن عبـد الله : والله لنمنعـهن . قـال فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال : " أخبرك عن رسول الله -صلـى الله عليـه وعلى آله وسلم - وتقول والله لنمنعهن " .

وعن مجاهد قال : (ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي -صلـى الله عليـه وعلى آلـه وسـلم -) وروي معناه عن الشعبي (٦) وعن بعض الأئمة الأعلام .

---

(١) وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (٨٧٧٠) وقـال الهيثمي في المجمع (١٨١/١) : " رجالـه رجـال الصحيـح . وقـال العلامة الألباني – رحمه الله تعالى – في تحقيق كتاب العلم لزهير بن حرب (ص١٢٢) رقم (٥٤) : " اسناده صحيح " .

(٢) التنبيه والرد للملطي ص (٨٥) .

(٣) البخاري مع الفتح رقم (٧٢٨٢) .

(٤) إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني – رحمه الله تعالى – ص (٢٢) .

(٥) مسلم (٣٢٦/١) رقم (٢٣٥) و (١٣٨) و (١٣٩) والبخاري رقم (٨٦٥) و (٨٧٣) و (٨٩٩) .

(٦) إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني – رحمه الله تعالى – ص (٢٣) .

قال الشعبي رحمه الله : (ما حدثوك عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فخذ به ...) .

وفي شرح أصول أهل السنة (١/٥٦/١٢٧) عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قوله : (اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم) .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : " الطرق كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والمتبعين سنته وطريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب ٢١] حليه الأولياء (١٠/٢٥٧) .

وعن أبي العالية الرياحي أنه قال : (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تحرفوا الإسلام يميناً ولا شمالاً . وعليكم بسنة نبيكم ، والذي كان عليه أصحابه ، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقى بين الناس العداوة والبغضاء . فحدثت الحسن فقال : صدق ونصح . فحدثت حفصة بنت سيرين فقالت ياباأهلي أنت حدثت محمداً بهذا ؟ قلت لا قالت فحدثه إذاً) . [(١)]

وفي الترمذي أن رجلاً من أهل الشام سأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال عبد الله بن عمر : (هي حلال . فقال الشامي : إن أباك قد نهى عنها . فقال عبد الله : (أرأيت إن كان أبي قد نهى عنها وصنعها رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أأمر أبي اتبع أم أمر رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ؟ فقال الرجل : بل أمر رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- . فقال : لقد صنعها رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-) . [(٢)]

وجاء عن ابن الماجشون أنه سمع الإمام مالك يقول : " من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد خان الرسالة لأن الله تعالى يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة -٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً " . [(٣)]

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : (أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لم يكن ليدعها لقول أحد) [(٤)] .

رزقنا الله العلم النافع والعمل الصالح .

---

(١) التنبيه والرد ص (٨٤) و شرح اعتقاد أهل السنة (١/٦٢) .

(٢) الترمذي رقم (٨٢٤) وسنده صحيح .

(٣) الاعتصام للشاطبي -رحمه الله تعالى- (٢/٥٣) .

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم - رحمه الله تعالى - (٢/٢٨٢) .

المبحث الثاني: -

أساس قبول العمل عند الله تعالى

إن مما ينبغي على السالك إذا بادر إلى عمل يبتغي به الدار الآخرة ، ان يقف مع نفسه ملياً وقفة حساب وتأمل وتفكر وتدبر هل يجد الباعث له على هذا العمل ابتغاء وجه الله وحده دون من سواه ؟ أم الباعث له على هذا العمل حب التصنع للمخلوقين والسمعة والرياء ؟ فإن كان الأول انتقل إلى مرحلة ثانية ووقفة من وقفات الحساب والتأمل والتدبر ، وإن كان الثاني فالويل له إن اقدم على فعله بل يجب عليه الإنكفاف . والوقفة الثانية هي أن ينظر هل هذا العمل الذي اقدم على فعله أو هذا القول الذي اقدم على التقول به بعد أن أخلص لله سبحانه موافق لهدي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ؟ فإن كان اقدم عليه وهو مما اثر عنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فليحمد الله على توفيقه وتسديده وليسارع إلى فعله قبل أن تحول الحوائل أو تمنعه الموانع فكم من مريد للخير لا يبلغه والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ومتى شاء سبحانه وتعالى .

فوجب على العبد أن يكون حذراً من هذه المزالق ، وهذه المسالك الوعرة . وليجعل لأعماله الباطنة ميزاناً يزنها به . وميزانها الوحيد الفريد ، هو ما جاء في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول: (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) .

قال العلامة القسطلاني رحمه الله تعالى كما في شرحه على البخاري : " من أراد الغنيمة صحح العزيمة ، ومن أراد المواهب السنية أخلص في النية ، ومن أخلص الهجرة ضاعف الإخلاص أجره ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، وإنما تنال المطالب ، على قدر همة الطالب ، وإنما تدرك المقاصد ، على قدر عناء القاصد ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم " .

فالإخلاص عزيز وما أعزه على النفوس ، وأهل الإخلاص هم السباقون إلى كل خير ، وهم من حقق كلمة التوحيد ، وما دلت عليه واستلزمته من إفراد الله تعالى وحده في العبادة ، فلا شريك له ، ولا ند له ، ولا إله غيره .

ويا لله العجب من بعض أفراد المسلمين ، الذين لا يعرفون كلمة التوحيد إلا تلفظاً ! فكم عبد غير الله في دار الإسلام ؟ وكم شدت من رحال إلى غير الله تعالى ؟ وكم التجأ الجاهلون إلى القبور والأضرحة ، للتمسح بأتربتها ، والتبرك بها ، ودعاء المقبور مع الله أو دون الله ، دفعاً لمضرة أو جلباً لمنفعة ؟؟ .

أما علم هؤلاء عظم ما يفعلون ، وخطر ما أقبلوا عليه بخيلهم ورجلهم ؟ .

وتا لله إنها لإحدى الكبر ، فليت شعري متى يعقل هـؤلاء الجاهلون فيكفوا عن هـذه الأفعال ، التي تحبط أعمالهم ، ويحققوا ما أراد الله منهم ، من إخلاص الدين لـه ، فلا يتوكل إلا عليـه ، ولا يطلب دفع المضرة وجلب المنفعة إلا منه سبحانه وتعالى ؟ .

فالله المعز المذل المانع المعطي الممسك ، بيده الخير ، يؤتي ملكه مـن يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وليجعل السالك على طريق الهدى ، ميزاناً لأعماله الظاهرة يزنها بـه ، وهذا الميزان هو ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يقول : (من أحدث في أمرنا هذا ، ما ليس منه فهو رد) . وانفرد مسلم بلفظ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

وحقيقة وزن العمل ، أن ينظر هل هو من سنته وهديه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – أم لا ؟ . فيقدم عليه إن كان الأول ، ويكف عنه إن كان هو الثاني .

ونخلص من هذا بقولنا : " إن أساس قبول العمل عند الله تعالى ، هو تحقيق أمرين اثنين ، دل عليهما الكتاب والسنة ، والآثار السلفية ، وهما :

الأول : – إخلاص العمل لله تعالى .

الثاني :– موافقة سنة رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وهديه .

فالأول به تحقيق لا إله إلا الله . والثاني فيـه تحقيق معنى محمد رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – .

والناس في هذين الأمرين كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ، في كثير من المواضع المسطرة في كتبه ، على أربعة أقسام .

قال رحمه الله كما في التفسير القيم ص (٧٣–٧٥) : " إذا عرف هذا ، فلا يكون العبد متحققاً بإياك نعبد ، وإياك نستعين ، إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : – متابعة الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – .

والثاني :– إخلاص للمعبود .

فهذا تحقيق (إياك نعبد) . والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضاً إلى أربعة أقسام :

أحدهما :– أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة .وهم أهل (إياك نعبد) حقيقة . فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ، ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله ، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده .ولا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً ، ولا ابتغاء الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم

، ولا هرباً من ذمهم ، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور ، لا يملكـون لهـم ضـراً ولا نفعـاً ، ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً .

فالعمل لأجل هؤلاء وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ، ورجاؤهم للضـر والنفـع منـهم . لا يكـون لعـارف بـهم البتة ، بل من جاهل بشأنهم ، وجاهل بربه .

فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم ، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله ، وعطاؤه ومنعه ، وحبـه وبغضـه ، ولا يعامل أحد الخلق دون الله ، إلا لجهله بالله ، وجهله بالخلق ، وإلا فإذا عـرف الله ، وعـرف النـاس ، آثر معاملة الله على معاملتهم ، وكذلك أعمالهم كلها ، وعبادتـه ، موافقـة لأمـر الله ، ولما يحبـه ويرضـاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه .

وهو الذي بلا عبادة بالموت والحياة لأجله قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحيـاة ليبلوكـم أيكـم أحسـن عملاً ﴾ [تبارك – ٢]. وجعل ما على الأرض زينة لها ، ليختبرهم أيهم أحسن عملاً .

قال الفضيل بن عياض : "هو أخلصه وأصوبه . قالوا يا أبا علي : ما أخلصـه وأصوبـه ؟ قـال : إن العمـل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل . وإذا كان صواباً ، ولم يكن خاصاً لم يقبـل حتى يكـون خالصـاً صواباً . والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة ".

وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربـه فليعمـل عمـلاً صالحـاً ولا يشـرك بعبـادة ربـه أحداً ﴾ [الكهف – ١١٠] . وفي قوله تعـالى : ﴿ ومـن أحسـن ديناً ممن اسـلم وجهـه لله وهـو محسـن ﴾ [النساء – ١٢٥] . لا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، على متابعة أمره ، ما عـدا ذلـك فـهو مردود على عامله ، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثوراً .

وفي الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم – (مـن عمـل عمـلاً ...) [(١)] وكـل عمـل بـلا اقتداء ، فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً . فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره ، لا بالآراء والأهواء .

والضرب الثاني :– من لا إخلاص له ولا متابعة ، فليس عمله موافقـاً لشـرع ، ولا هـو خالصـاً للمعبـود . كاعمال المتزينين للناس ، المرائين لهم بما لم يشرعه الله ولا رسوله ، وهـؤلاء شـرار الخلـق ، وأمقتـهم إلى الله عز وجل ، ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتـوا ويحبـون أن يحمـدوا بمـا لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهـم عـذاب أليـم ﴾ . [آل عمـران – ١٨٨] يفرحـون بمـا أتـوا مـن البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص .

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلـم والفقـه والعبـادة عـن الصـراط المسـتقيم ، فإنـهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والاخلاص

---

(١) لفظه كما في مسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

والعلم . فهم أهل الغضب والضلال .

الضرب الثالث :- من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الأمـر . كجـهال العبـاد والمنتسـبين إلى طريق الزهد والفقر . وكل من عبد الله بغير أمره ، واعتقده قربة إلى الله ، فهذا حالـه كمـن يظـن أن سمـاع المكاء والتصدية قربة إلى الله ، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ، وأن مواصلـة صـوم النـهار بالليل قربة ، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة ، وأمثال ذلك .

الضرب الرابع :- من أعماله على متابعة الأمر ، لكنها لغير الله . كطاعـة المرائين ، وكـالرجل يقـاتل ريـاءً وحميةً وشجاعة ، ويحج ليقال ، ويقرأ القرءان ليقال ، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحـة ، مـأمور بـها ، لكنها غير خالصة فلا تقبل . ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصـين لـه الديـن ﴾ [البينـة -٥] . فكـل أحـد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة وهم أهـل ﴿ إيـاك نعبـد وإيـاك نسـتعين ﴾ [الفاتحة -٥] .اهـ

وختاماً ، قال العلامة الحكمي رحمه الله :

شروط قبول السعي أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معـــا

لله رب العـــرش لا ســـواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه.

المبحث الثالث :-

المحكم والمتشابه من النصوص ، وموقف أهل البدع والأهواء منها:

المراد بالمحكم من نصوص الكتاب والسنة : قيل :

أ) ما اتضح معناه واستقل لفظه .

ب) ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى .

والمتشابه قيل :

أ) ما لم يتضح معناه .

ب) ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره .

ج) ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره .

د) ما لا ينبيء ظاهره عن مراده . [١]

وموضع البحث فيه والتوسع ليس في هذا المختصر ، ويمكن الرجوع إلى مضانه من كتب الأصول وعلوم القرءان .

والمقصود هنا بيان موقف أهل الحق من نصوص الكتاب والسنة المتشابهة ، وموقف أهل البدع والأهواء منها .

فاعلم رحمني الله وإياك : أن المتشابه من مآخذ أهل البدع والأهواء في التلقي والاستدلال ، فهم يقررونه في مسائلهم المخالفة للحق ، وغرضهم إيهام الرعاع ومن لا علم عنده بقوة مأخذهم ، وصحة مذهبهم ، واستنادهم إلى الدليل في التدليل للأحكام التي غايتها الضلال ومجانبة الحق .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره الأثري المشهور [٢] عند قوله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ [آل عمران -٧] " أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ " أي يأخذون منه المتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ، لأنه رافع لهم وحجة عليهم لا لهم ، كما لو احتج النصارى بأن القرءان قد نطق بأن عيسى روح الله ،و كلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وتركوا الاحتجاج بقوله :﴿ إن هو إلا

---

(١) انظر تفصيل هذه المباحث في : الحجة في بيان المحجة (١/٤٤٧-٤٤٩) ، إعلام الموقعين (٢/٢٩٤-٤٢٥) ، شرح الكوكب المنير (٢/١٤٠-١٥٠) ، المسودة ص (١٦١) ، البحر المحيط للزركشي (١/٤٥٠) ، التنكيل (٢/٣٣٣-٣٤٣) ، تفسير ابن جرير (٣/١٧٠-١٨٠) و (٦/١٦٩) ، الموافقات (٣/ ٨٥) ، الإتقان (٣/٣-٥) ، الفتاوى (١٣/٢٧٢-٢٨٣) .

(٢) (١/٣٧١) .

عبد أنعمنا عليه ﴾ [الزخرف – ٥٩] وبقوله : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران – ٥٩]. وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله ، وعبد ورسول من رسل الله " اهـ .

فتبين من كلامه رحمه الله تعالى موقف أهل البدع والأهواء الزائغين عن السنة من المتشابه .وقد أوضح هذا رب العالمين تعالى بقوله : ﴿ هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [آل عمران –٧] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله أيضاً عند هذه الآية في تفسيره (٣٦٩/١) : "يخبر تعالى أن في القرءان آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد .ومنه آيات أخر ، فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس او بعضهم ، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه ، وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ، ومن عكس فقد انعكس " اهـ

قلت : قضى الله وحكم ، بأن الذين في قلوبهم زيغ دأبهم وسنتهم الأخذ بالمتشابه ، فهذا الشأن عندهم في كل زمان ومكان وعلى مر العصور وتوالي الأيام ، وغاية مرادهم من إجلاب خيلهم ورجلهم في هذا الباب ، هو إضلال الخلق وإبعادهم عن السنن والآثار ، وإيقاعهم في البدع والضلالة ، وهذا غاية أمرهم ، ومنتهى قصدهم ، وثمرة جهدهم ، عاملهم الله بما يستحقون .

فيا لله ويا للأئمة المسلمين ، من هذه الفواقر التي ينتحلونها ، ويدينون بها .

لقد اصبح وأضحى وأمسى الإسلام المصفى ، أمام هذه المذاهب والملل والنحل غريباً كما بدأ . فإلى الله المشتكى .

فلينظر السالك – اصح المسالك وأوضحها – من هم بحق أصحاب التحريف والتبديل ، والأخذ بالمتشابه وترك المحكم ؟ . من هم الذين لم يكتفوا بما شرع لهم ، فذهبوا إلى النصوص فجنوا عليها بتلك الفواقر ؟ .

فما وافق الهوى فهو الدين الذي لا يقبل الله سواه عندهم ، وما خالفه فهو المردود الذي صاحبه يوم القيامة من الخاسرين معدود ، وفي صفوف المجرمين محشود . والله ربي حسيبهم ، فهو الحفيظ الودود .

إنهم بعين الحق أهل البدع والأهواء ، فهذا شأنهم ، وغاية أمرهم . ومن تأمل التاريخ من أوسع أبوابه ، وجدهم إلى الشر مقبلين ومن الخير مبتعدين ، مفاتيح شر ، مغاليق خير .

فكم والله أوقعوا الناس في مرام المتشابه ، وشباك الباطل . والتاريخ يحكي ما فيه ، فكم عانا إمام السنة المبجل ، أحمد بن محمد حنبل رحمه الله تعالى ، في عصره منهم . وما زال أئمة السنة بعده إلى أيامنا هذه في حرب ضروس مع هؤلاء الذين حملوا ألوية الأخذ بالمتشابه ، فعبدوا العقول الناقصة ،وأماتوا السنة والآثار بما يقولونه وينتهجونه ، فآثار إضلالهم بالأمة كبيرة لا تعد . وللمتبصر الذي جرد نفسه للاتباع ونهاها

عن الهوى والابتداع أن يقصد التاريخ من أوسع باب ، فيرجع إلى كتب السلف من الأئمة رحمه الله تعالى ، التي اعتنت بالرد على باطلهم ، وإزالة شبههم ، فسيقف على ما لا يحصيه باله ، ويتألم منه ضميره ، من فعالهم في الاستدلال ، ورمي بعض النصوص على بعض ، ابتغاء فتنة العباد وإضلالهم . وأمام هذا الشر كان من فضل الله تعالى على الخليقة منذ ضرب على ظهر هذه الأرض بدعوة نبينا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يسر لها من أبنائها من يحمي بيضة هذا الدين ، ويقصم الله بهم ظهر كل معتد أثيم ، فاظهر الله الحق بالحجج والبراهين ساطعاً ، وكشف بهاريج الباطل على أيدهم ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، وغاية ما يقال في الجملة أن أهل السنة والحديث هم الذين وظفوا أنفسهم لهذا المقام ، فضحّوا بسببه بالغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، فأنعم بهم من رجال ، وأنعم بها من مقاصد حميدة و «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ،ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح اثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم .

يتكلمون في المتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين » . [١]

فوصيتي للمتبع أنه إذا رأى من يلوي عنق النص تأويلاً وتحريفاً وانتصاراً للبدع والهوى ، أن يحذر منه ومن أمثاله ممن يعمد إلى المتشابه من نصوص الكتاب والسنة ، فإنهم من سمى الله تعالى في كتابه ، ونطق بالتحذير منهم وجاء عن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- النص المحكم بالتحذير منهم أيضاً ، ففي الصحيحين [٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت : " تلا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم) وفي لفظ خارج الصحيحين : (قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاعرفوهم) . "وعند أحمد [٣] (فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذرهم) . فهذا هو

---

(١) كلام الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – في مقدمة كتابه « الرد على الزنادقة » .

(٢) البخاري كتاب التفسير (٤٢/٦) ومسلم كتاب العلم (٥٦/٨) وأبي داود رقم (٤٥٩٨) .

(٣) في المسند (٤٨/٦) .

حكم الله ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في هذا الصنف وعليه عمل السلف من هذه الأمة) .

وأما أهل الحق فطريقتهم في تلقي النصوص معروفة ، فهم حذوا حذوَ سلفهم من الصحابة والتابعين ، وأئمة الهدى إلى يوم الدين فقد « كانت طريقتهم في تلقي النصوص أنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويأخذون ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً فإنها كلها من عند الله ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء - ٨٢] » .[1]

وثبت في مسند أحمد (٢/١٨٥) بسند حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سمع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قوماً يتدارؤون فقال : (إنما أهلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما أنزل من كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه) .

فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يجنبنا الهوى والزيغ ، وأن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين .

---

(١) انظر معارج القبول للعلامة الحكمي - رحمه الله تعالى - (٢/٥٠٣) .

المبحث الرابع :-

عداوة المبتدع للمتبع :-

أيها السالك اعلم وفقك الله تعالى إلى كل خير أن العداوة والخصومة بين الحق والباطل قائمة ومستمرة دائمة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهذه العداوة والخصومة تتمثل مباشرة بين الحق والباطل فأهل الباطل جندوا جنودهم ، وأقبلوا بخيلهم ورجلهم لحرب الحق وقمع أهله ، والله من ورائهم محيط ، ولن يستطيعوا لذلك سبيلاً ، حتى يلج الجمل في سم الخياط ، . وهذا الصراع واضح جلي كوضوح الشمس دونما سحاب ، فمن تأمل الكتاب متدبراً لسير الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله ، مع قومهم رأى الأمر بجلاء دونما خفاء .

فأهل الباطل يدافعون بحرارة عن باطلهم الزائف ويتمنون نكال وزوال أهل الحق دونما استثناء ، ويرونهم حجر عثرة أمام انتشار باطلهم . وهذا لا يخص زماناً دون زمان ، ولا مكان دون مكان ، بل يعم جميع الأزمنة والأمكنة .

ولكن مهما بلغت قوة الباطل بوسائله ومعداته ، وسطوه واستفاضته ، فإن الله لناصر دينه وشرعه ، ومعليٌ أمره ونهيه ، ورافعٌ جنده وحزبه ، والله غالب على أمره ، ومظهر حجته على خلقه ، انسهم وجنهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر – ٥١] فلو كان الباطل له قوته في يوم من الدهر ، فإن الحق له بقاؤه وظهوره ، فإذا كان هو الأقوى ، فإن الحق هو الأبقى . ما دام الليل والنهار .

ولتعلم أيها السالك ، يا من جعلت الإخلاص والإتباع سبيلاً ومنهجاً وسنة وشرعةً ، أن أهل البدع والأهواء يكنون لك العداوة والبغضاء ، بل يتمنون زوالك ، ويترقبون عن كثب منتهى أمرك ، لأنهم يرون وجودك هدد سلطانهم ، وزعزع كيانهم ، بما تقوم به من بيان الحق والصدع به ، وتحذير الرعاع ومن لا علم عنده من البدع والضلالات بصنوفها وعمومها ، عبادةً ومنهجاً وعقيدة ، فأنت من كشف للناس ضلالهم ومغبة امرهم ، فاصبر فإن الصبر جميل ، والعاقبة للمتقين ، وهذه الحقيقة لا تكاد تخفى على ادنى متأمل ، فعداوة المبتدع وصاحب الهوى للمتبع صاحب الحق أوضح من شمس النهار « لأن المتبع يعادي المبتدع لبدعته ، والمبتدع يعادي المتبع لاتباعه ، وكونه على الصواب » [١] والباحث المتتبع لتراجم أئمة السلف من أهل الاتباع ، وقماع الابتداع ، والأهواء ، يجد ما يكشف الحقيقة ويجليها دونما خفاء ، فكم عانوا من تبعاتهم ، وصبروا على طعنهم وتشهيرهم ، فذاك الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، ومن

---

(١) قطر الولي للشوكاني – رحمه الله تعالى – ص (٢٥٩).

جاء قبله من حملة الهدى ، ومن جاء بعده ممن تبع أثرهم ، وسلك مسلكهم جميعاً بما لا يحصيه كتاب ، ولا خطر على بال ، والوقوف على ما حصل لكل فرد من أفرادهم ، واستقصاء هذا الأمر يطول ، فرحمهم الله تعالى وعظم أجرهم جميعاً .

ومن المهم مما يجب إلحاقه في هذا الموضع أن يعلم عداوة المبتدعة وأصحاب الأهواء لأهل الحديث والأثر ، فبغضهم عندهم أرفع القرب وأشرفها . وإلى الله المشتكى .

فكم سبوا وشتموا ورموا بالعظائم ، هؤلاء الأبرياء الأتقياء من حملة العلم والهدى ، فزهدوا الناس عنهم ، ورغبوهم في غيرهم ، وهذه بليتهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ذكر الحاكم أبو عبد الله رحمه الله تعالى في معرفة علوم الحديث [١] عن ابي الحسين بن علي الحافظ أنه قال : سمعت جعفر بن محمد بن سنان الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : " ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أصحاب الحديث ؛ وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه ... " قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله تعالى : " وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينتسب إلى نوع من الإلحاد والبدع ، لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية " .اهـ

فلكم الله يا أهل الحديث ، لقد علموا وأيقنوا أنكم بحق حملة الآثار ، وأنكم من وظف نفسه في الدفاع عن السنة والذب عنها كل دخيل عليها وليس منها ، وأنكم من ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأكمله وأتمه ، ولن يضركم صديد ألسنتهم التي وجهوها إليكم ، فإن العاقبة لكم والنصر حليفكم ، والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وخذوا ما سطره ابن القيم رحمه الله تعالى ، فاجعلوا نصب أعينكم ، إذ قال في مدارج السالكين (١٩٩/٣) : " فإذا اراد المؤمن الذي رزقه الله بصيرةً في دينه ، وفقهاً في سنة رسوله وفهماً في كتابه وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات ، وتنكبهم عن الصراط المستقيم ، الذي كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– وأصحابه ، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه وإزرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فأما إن دعاهم إلى ذلك القدح فيما هم عليه فهناك تقوم قيامتهم ، ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله " . اهـ

هذا ، فهم ساروا على ما سار عليه أسلافهم ، في قدح أهل الحديث ، والشماتة بهم ، فحذو حذوهم ، ولهذا فإن « شعار أهل السنة والجماعة اصبح عند كثير من الناس دعوى لا مضمون لها ، وشعاراً لا يراد التزامه ، فالسبيل والحالة هذه هو التثبت من تطبيق هذا الشعار والتزامه بكل ما يدل عليه ، نفياً لكل ما يخالفه من تأصيل أو عمل أو اعتقاد ، وإثباتاً لكل ما يستلزم من اعتقاد وتأصيل وعمل وولاء ، فكل ما تولاه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من اعتقاد أو عمل أو علم أو قول . وبراءةً من كل ما تبرؤوا منه . ولا يكفي لتحقيق الالتزام بهذا المنهج أخذ أجزاء منه وترك أجزاء أو جزء ، فكل فرقة من الفرق قد أخذت بشيء منه ولم تكن بذلك من أهله ، فانظروا آثارهم ، واعتبروا بعواقبهم » . [1] "وسلوا الله الثبات على الحق حتى لقاؤه سبحانه وتعالى ، فنحن في زمن حل في ديار المسلمين وأوطانهم من الفتن والإحن ، والملل والنحل ، والتحزبات المحرمة ما أورث الحليم الحيرة ، فكم رفع من خفضه الله ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وكم خفض من رفع الله ورسوله .

وليت شعري متى سيفيق الغافل من غفلته ، ويؤوب الظالم من ظلمه ، ويرجع المبتدع عن بدعته ، فهناك توضع الموازين وينزل الناس منازلهم ، كل بحسب ما قسم الله له . ويعجبني كثيراً ما قاله العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمة الله عليه وهو يشكو ظلم الناس له قائلاً[2]:

وإن كنت محسوداً على ما حويته	فمثلك مغبوط كثير حواسده
فشمر على اسم الله في نشر سنة	لخير الورى واصبر على ما تكابده
فإنك في دهر به قد تنكرت	من الدين فاعلم يابن ودي معاهده
إذا قلت قال الله قال رسوله	يقولون هذا مورد ظل وارده
وإن قلت هذا قررته مشايخ	يقولون هذا عالم العصر واحده
فلا قدس الرحمن عصراً ترى به	جهولاً يعادي الحق ثم يعانده
ألا ناصراً للدين دين محمد	ألا عاضداً بالرجال تعاضده
ألا غاضباً يوماً لسنة أحمد	فمن كان منشوداً فإني ناشده
ألا يا معشر الأعلام هل من حمية	أتهجر من قول الرسول موائده
أينكر معروف ويعرف منكر	ويقبل في الدين المطهر جاحده
لتبك عيون العلم فهي جديرة	بفيض دموع مترعات موارده
لتبك عيون الأمهات فإنها	غدت في عقوق من بنيها تكابده
ألا يا رسول الله قوم تلاعبت	بهديك وهو العذب فينا موارده

(١) نقلاً عن « ما أنا عليه والأصحاب » لأحمد بن سلام -حفظه الله تعالى- ص(٦٨) .

(٢) كما في البدر الطالع (٢/١٠٥) . ترجمة محمد بن أحمد بن سعد الساعدي .

والمقصود الأعظم هنا أن انبه هؤلاء إن كانت للغة الكتابة عندهم جدوى . فليعلموا أن أهل الحديث ، وحملة الآثار ، وأئمة السنة هم خير الناس ، فلقد عمل فضلهم الحاضر والباد ، والذكر والأنثى من المسلمين ، فهم على الحق سائرين . ولو طالعت بعين الإنصاف كتبهم ومصنفاتهم من أولها إلى آخرها ، صغيرها وكبيرها ، قديمها وحديثها ، لوجدتها وألفيتها مع اختلاف أماكنهم وأزمانهم وأشخاصهم في باب الاعتقاد والأحكام على وتيرة واحدة ، ونمط واحد ، ونهج واحد ، ونقلهم لا ترى فيه اختلالاً ولا اضطراباً في شيء قل أو كثر ، ولعل هذا راجع إلى كونهم اخذوا الدين من السنة والكتاب على طريقة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والأصحاب ، فأورثهم الاتفاق والائتلاف ، وموافقة الصواب ، فنصيبهم المفروض التوقير والإجلال ، ففضائلهم لا يحصيها بال ، ولا يستطيع حصرها الرجال ، فرحم الله امرءً أنصف من نفسه ، وعرف قدرها ، وأنزل الناس منازلهم التي انزلهم الله إياها .

قيل لحفص ابن غياث رحمه الله [١] : "ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه . قال: هم خير الناس". وقال أبو بكر ابن عياش رحمه الله [٢] : "إني لأرجوا أن يكون أصحاب الحديث خير الناس". قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله [٣] : "ولقد صدقا جميعاً أن أصحاب الحديث خير الناس ، وكيف لا يكونوا كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها ورائهم ، وجعلوا غذائهم الكتابة ، وسمرهم المعارضة ، واستراحهم المذاكرة ، وخلوفهم المداد ، ... إلى أن قال رحمه الله : فعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، وقلوبهم بالرضى في الأحوال عامرة ، تعلم السنن سرورهم ، ومجالس العلم حبورهم ، وأهل السنة قاطبة إخوانهم ، وأهل البدع بأسرها أعدائهم .

سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول : "سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الكندي يقول : كنت أنا وأحمد بن الحسين الترمذي عند ابي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسين : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيله بمكة أصحاب الحديث فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال : "زنديق . زنديق . زنديق "ودخل البيت". اهـ

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى كما في المحدث الفاصل [٤] : "اعترضت طائفة ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله . فقالوا بتنقص أصحاب الحديث ، والازراء بهم ، وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم ، وقد شرف الله الحديث وفضل أهله ، وأعلى منزلته ، وحكمه في كل محلة ، وقدمه على كل علم

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم – رحمه الله تعالى – ص (٣).

(٢)المرجع السابق .

(١) المرجع السابق.

(٤) انظر المحدث الفاصل له ص (١٥٩-١٦٩) .

، ورفع من ذكر من حمله وعنى به ، فهم بيضة الدين ومنار الحجة ، وكيف لا يستوجبون الفضيلة ولا يستحقون الرتبة الرفيعة ، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين ، وأخبروا عن انباء التنزيل ، وأثبتوا ناسخة ومنسوخة ، ومحكمه ومتشابهة ، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . فنقلوا شرائعه ، ودونوا مشاهده ، وصنفوا اعلامه ودقائقة ، وحققوا مناقب عترته ، ومآثر آبائه وعشيرته ، وجاؤا بسير الأنبياء ، ومقامات الأولياء ، وأخبار الشهداء والصديقين ، وعبروا عن جميع فعل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في سفره وحضره ، وضعنه وإقامته ، وسائر أحواله ، ومن منام ويقظة ، وإشارة وتصريح ، وصمت ونطق ، ونهوض وقعود ، ومأكل ومشرب ، وملبس ومركب ، وما كان سبيله في حال الرضى والسخط ، والإنكار والقبول . حتى القلامة من ضفره ما كان يصنع بها ، والنخامة من فيه اين كان وجهتها ، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله عند كل موقف ومتشهد يشهده ، تعظيماً له -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه واسند إليه ؟ .

فمن عرف للإسلام حقه ، وأوجب للرسول حرمته ، أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه وأعلى مكانه ، وأظهر حجته وأبان فضيلته ، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسول واتباع الوحي وأوعية الدين ونقلة الأحكام والقرءان ، والذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل فقال : ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ [التوبة - ١٠٠] .اهـ

وساق رحمه الله بسنده إلى الإمام سفيان الثوري رحمه الله انه قال : " ما من شيء أخوف عندي من الحديث ، ولا شيء أفضل منه لمن اراد به ما عند الله " . ثم روى عن الإمام الأعمش رحمه الله . بإسناده أنه كان يقول : " لا اعلم لله قوماً أفضل من قوم يطلبون هذا الحديث ، ويحيون هذه السنة ، والله لأنتم أقل من الذهب " .

ورحم الله أبا طاهر السلفي إذ يقول [١] :

يا قاصداً علم الحديث يذمه … إذ ضل عن طرق الهداية وهمه
إن العلوم كما علمت كثيرة … وأجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ … فأتم سهم في المعالي سهمه
لولا الحديث وأهله لم يستقم … دين النبي وشذ عنا حكمه
وإذا استراب بقولنا متحذلق … ما كان فهم في البسيطة فهمه

إن أهل الحديث هم مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، يبصرون الناس بالسنن والآثار ، فهم ورثة الأنبياء

---

(١) انظر كتاب « أبو طاهر السلفي » للدكتور حسن بن عبد الحميد ص(١٧٩-١٨١) .
وصدق من قال فيهم [١]:

أحق الناس يستضاء بهديهم — أئمة أصحاب الحديث الأفاضل
خلائق أصحاب الحديث ذوو الحمى — لهم رتب عليا وأسنى الفضائل
فلولاهم لم يعرف الشرع عالم — ولم تك فتوى في فنون المسائل
وهل نشر الآثار قوم سواهم ؟ — نعم حفظوها ناقلاً بعد ناقل
فديتهم من عصبة العلم والهدى — لقد أحرزوا فضلاً على كل فاضل
هم القوم لا يشق لعمري جليسهم — فمن فاتهم يحضى بغير الفضائل

وما احسن ما قال الحافظ أبو محمد هبة الله بن الحسن الشيرازي منشداً فيهم (٢):

عليك بأصحاب الحديث فإنهم — على منهج للدين ما زال معجما
وما النور إلا في الحديث وأهله — إذا ما دجا الليل البهيم وأظلما
فأعلى البرايا من إلى السنن اعتزى — وأعمى البرايا من إلى البدع انتمى
ومن ترك الآثار فقد ضل سعيه — وهل يترك الآثار من كان مسلما؟

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه النفيس شرف أصحاب الحديث) : " فلو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء المحدثين ، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه ، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفة الجنة والنار من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسبحين ... إلى قوله رحمه الله : "وقد جعل الله أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله في خليقته ، والواسطة بين النبي وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ، تستحسن رأياً تعكف عليه ، سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حجتهم ، والرسول فئتهم وإليه نسبتهم ، لا يعرجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه العدول ، حفظة الدين وخزنته ، واوعية العلم وحملته ، إذا اختلف في الحديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع ، منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلته ، مخصوص بفضيلته ، وقارئ متقن ،

---

(١) هو محمد بن محمد المديني . انظر مقدمة تحفة الأحوذي ص (١٨) .

(٢) أوردها ابن الوزير في الروض الباسم (١/٧) .

وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم ، وسبيلهم المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر ، من كادهم قصمه الله ، ومن عاندهم خذله الله ، ولا يضرهم من خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم ، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير ، وبصر الناظرين إليهم بالشر حسير ، وإن الله على نصرهم لقدير . " اهـ

قال الإمام الصوري رحمه الله (١) ونعم ما قال فيهم :

قل لمن عاند الحديث وأضحى　　عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبن لي　　أم بجهل فالجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الديـ　　ـن من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه　　راجع كل عالم وفقيه.

وليعلم الجاهل الحاقد ، أن أهل الحديث والأثر لا يهنهم هذا منه ، بل تنقصهم والتزهيد عنهم وعن كتبهم لا يزيدهم إلا رفعة ، ولا يزيد الناس إلا إقبالاً عليهم .

وليتك ايها الحاقد ما تكلمت لأنك ناقص ، ومرتبتك وضيعة . وصدق من قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص　　فهي الشهادة لي بأني كامل

وقال الآخر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها　　فلم يهنها وأوهى قرنه الوعل

إنك أيها الحاقد إذا لم تخف الله في أقوالك وصنيعك ، فمن غير الله يستحق ان يخاف منه ويستحيى منه .

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً　　وتستح مخلوقاً فما شئت فاصنع

فأنت أيها الحاقد الطاعن في أهل السنة ممن قل ماء وجهه فقل حياؤه .

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه　　ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك فإنما　　يدل على فعل الكريم حياؤه

فالناظر إليكم يا أهل الاتباع ، وحملة السنة والآثار ، بالعين العوراء والمنظار الأسود ، والنظرات الشريرة ، ممن أنكر فضلكم على الأمة ، ودفاعكم وذبكم عن السنة ، ذلك الذي انقلب عنده الميزان العادل ، واختلط عنده الحق بالباطل ، والحابل بالنابل ، فلم يستطع أن يميز بين الاتباع والابتداع ، فحاله كما يقول القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد　　وينكر الفم طعم الماء من سقم.

---

(١) هومحمد بن علي بن عبد الله . من مشائخ الخطيب توفي سنة (٤٤١) هـ . ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٨/ ١٤٣) . والسير (١٧/ ٦٢٧) و تاريخ بغداد (٣/ ١٠٣) .

إن مرض عيونهم ورمدها الهوى والبدع ، وسقم أفواههم التنقص من أهل الفضل ورواد العلم ، فلم يسلموا أحداً من ثلبهم وشتمهم وتنقصهم ، وصدق من قال :

ولست بناج من مقالة طاعن ... ولو كنت في غار على جبل وعر

ومن ذا الذي ينجوا من الناس سالماً ... ولو غاب عنهم بين خافقي نسر

والعجب أنك تجد في صفوف هؤلاء الشانئين من كانوا طلاب علم عند مشايخنا وعلمائنا ، فلما قووا استحوذ عليهم الشيطان وأقعدهم ، فغرقوا في بحر التحزب ، وافتتنوا بالمادة وسال لعابهم وراء المال ، وطعنوا في شيوخهم ، ورموهم بكل عظيمة ، وارصدوا لهم الغوائل ، وتتبعوا أخطائهم وعثراتهم بقصد التشنيع والتزهيد عنهم . وصدق الإمام الشوكاني رحمه الله إذ قال [1] :

هم اخذوا عني العلوم بذلة ... فلما حووها عاملوني بغلظة

هم اظهروا عند اللقاء ليونة ... فلما تولوا أظهروا كل شدة

هم الخرس إن قلت الصواب وإن أقل ... خطأ يطيروا في الملاء بغلطتي

هم نقلوا عني الذي لم أقل به ... هم أوحشوا بيني وبين أحبتي

وماذا عسى هؤلاء يجنون ؟ إنه الفساد الدائم في دينهم ودنياهم ، والخسران المبين والإثم المتين ، والعاقبة بعد ذلك للمتقين .

فلأهل الاتباع من علمائنا ومشائخنا – أهل الحديث – بمن قبلهم عبرة وعظة ، فقد عاشوا في أوساط الذم والتنقص من قبل أهل الأهواء والبدع ، ولكن كان بعد ذلك لهم لسان الصدق في الآخرين ، وكان أمرهم الأعلى ، وذكرهم الأسمى ، والأمر كما قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى :"وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ، ويفوق أهل عصره ، ويدين بالكتاب والسنة ، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون ، ويقع له معهم محنة بعد محنة ، ثم يكون أمره هو الأعلى ، وقوله هو الأولى ، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره . " اهـ [2]

فتلمس أخطاء هؤلاء الأئمة الفحول وتتبع زلاتهم لا يصدر إلا من أحد ثلاثة : –

١– صاحب هوى يسعى لانتقاص أئمة الهدى وأهل العلم والفضل ، ويريد ان يحول بين الأمة وبين الاقتداء بعلمائها ، فيطعن فيهم ، ويشوه سمعتهم .

٢– مبتدع يتلمس أدلته وبراهينه من أخطاء الأئمة والعلماء وزلاتهم لينصر بدعته ويقوي حجته كفعل

---

(١) انظر ديوان أسلاك الجوهر ص (١٠٥) نقلاً عن مقدمة الفارق بين المصنف والسارق ص (٣٣). بتحقيق الشيخ علي الحلبي – حفظه الله ورعاه – .

(٢) البدر الطالع (٦٥/١) . ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – .

الذي يستدل على جواز التشيع بوقوع بعض الأئمة فيـه . كالإمـام عبـد الرزاق بن همـام رحمه الله . أو على جواز التأويل بفعل بعض الأئمة كالإمام البيهقي والنووي رحمهما الله تعالى .

٣- جاهل متعالم مغرور يريد أن يظهر من خلال نقده للآخرين .

ثم ليعلم أن الذي لا يرى لعلمائنا المعاصرين فضلاً انه جـاهل مـن الجهال أو صـاحب هـوى أومبتـدع مـن المبتدعة .

وبالجملة : - فمن أراد أن يزن الرجال فليزنهم بالميزان الشرعي ، ميـزان العلم النـافع والعمـل الصـالح ، الذي هو حقيقة التقوى كما قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شـعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبـير ﴾ [الحجرات - ١٣] . وبقـدر علـم الرجـل وإخلاصه واتباعه يعلم فضله ومنزلته .

فليحذر طالب الحق من استعمال ميزان فقه الواقع المزعوم [١] فيزن به الرجال ، فإن مفاسده أكـثر مـن أن تحصر ، واشهر من أن تذكر . لقد اصبح وأضحى وأمسى حملة الهدى وأئمـة الديـن بـه مطعونـين ، وأهـل البدع والأهواء وأئمة الزيغ والضلال به مرفوعين .

إن هذا الميزان ما أنزل الله به سلطان ، وليس عليه أثارة من برهـان ، بـل جـيء بـه مـن أجـل اتـهام علمـاء الأمة به والدخول في باب جرحهم والطعن بهم . فليكن طالب الحق من هذا الميزان حذراً .

إن أهل الأهواء وذو الجهل من الرعاع ، ومن لا علم عنـده ، وصلـوا مـن خـلال هـذا الميزان إلى الطعن بأئمة الإسلام وعلماء الدين ، الذين علـم فضلـهم الحـاضر والبـاد ، والذكـر والأنثى ، كأمثـال : العلامـة محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - وكذا سماحـة الشـيخ الفـاضل عبـد العزيـز بـن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى - وهكذا شيخنا محدث الديـار اليمنيـة أبـو عبـد الرحمـن مقبـل بـن هـادي الوادعي - حفظه الله تعالى وعافاه الله من أوجاعه وآلامه - وهكذا الشيخ الفقيه الأصولي محمد بـن صـالح العثيمين - حفظه الله تعالى ونفع به - وغير هؤلاء من حملة العلم ، وحماة السنة في سائر المعمورة .

وما ذنبهم ؟ هل لكونهم خالفوا الكتاب والسـنة ؟ أو دعـوا إلى تحـزب وفرقـة ؟ كـلا والله وإنمـا هـو الغـل والحقد والحسد من الواقع والطاعن فيهم - أعاذنا الله جميعاً منهم - وحال هؤلاء الطـاعنين هـو كمـا نظـم العلامة محمد بن إبراهيم الوزير - رحمه الله تعالى - لأحد شيوخه قائلاً [٢] ونعم ما قال :

عرفت قدري ثـم أنكرتــه ... فمــا عدا بــالله مما بــدا

وكل يوم لك بــي موقف ... أسرفت بالقول بسوء البذا

---

(١) الذي حقيقته تتبع مقالات الغربيين وتحليلها بقصد تعظيم ما هم عليه ، وهكذا ما يرد في إذاعاتهم المسموعة والمرئية .

(٢) البدر الطالع في ترجمته - رحمه الله تعالى - (٢/٩٣) .

أمس الثناء واليوم سوء الأذى ياليت شعري كيف نضحي غدا

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران – ٨] [(١)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٢٠/٢٣١-٢٣٢) : "وبعد : فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله ، موالاة المؤمنين ، كما نطق القرءان ، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم . إن كل أمة قبل مبعث محمد –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فعلماؤها شرارها إلا المسلمين ، فإن علماؤهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ".اهـ

---

(١) أنصح بقراءة كتاب الشيخ الفاضل : ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى ورعاه« أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الفرقة الناجية .»

الفصل الثاني

المبحث الأول :

اتباع الهوى أساس الضلال ومنشؤ البدع:-

جاء في لسان العرب [(١)] ((أهل الأهواء : وأحدها هوى ، وكل فارغ هواء ، وفي التنزيل ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ [إبراهيم – ٤٣] يقال فيه : أنه لا عقول لهم . قال ابن الجوزي : " كل خال هوى وهوى بالفتح يهوي هوياً سقط من فوق إلى أسفل ")) .

والهوى مقصور : هوى النفس ، وهوى النفس إرادتها ، والجمع : الأهواء . قال اللغويون : الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه . قال الله عز وجل : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات – ٤٠] معناه نهاها عن شهواتها وما تدعوا إليه من معاصي الله عز وجل ؛ ومتى تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق الصواب . واستهوته الشياطين : ذهبت بهواه وعقله ، وقيل استهوته استهامته وحيرته ، وهاوية والهاوية : إسم من أسماء جهنم . " اهـ

إن اتباع الهوى باب من أبواب الضلال ، وسبب من أسباب التفرق والاختلاف ، فلهذا أفردناه في كتابنا بهذا المبحث ، لعظم خطره فهو الداء العضال وراس كل بدعة وضلال .

فالهوى قد ذم في أكثر من آية ، فأخبر سبحانه وتعالى أن اتباع الهوى يضل عن سبيله قال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص – ٢٦] وأخبرنا تعالى أن اتباع الهوى يطبع على قلب العبد فقال تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم ﴾ [محمد – ١٦] وجعل الله عز وجل لمن خاف مقامه ونهى النفس عن الهوى الجنة فهي مأواه .

قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات ٤٠-٤١] فجعل مخالفة الهوى وعدم اتباعه طريقاً إلى الجنة ، وسبب ذلك أن العبد إذا قهر هواه وغلبه وخالفه ولد ذلك في قلبه لذة في الطاعة فيحس بها العبد ، فيمتثل أوامر الله عز وجل . قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى " وفي قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً ، لأنه قهر بخلاف غالب الهوى ،فإنه يكون قوي القلب عزيزاً لأنه قهر " . [(٢)]

وليعلم الناظر المتبصر أن اتباع الهوى من المهلكات ، لما ثبت عند البزار وأبي نعيم في الحلية من حديث قتادة عن أنس – رضي الله تعالى عنه –قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – :

---

(١)لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٧٠-٣٧٣) .

(٢)صيد الخاطر ص (٥٧) .

ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، فالمهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ؛ والمنجيات : تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى). [(١)] وقد حكم الله عز وجل لمن اتبع هواه بغير هدى منه سبحانه وتعالى بأنه أظلم الظالمين فقال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [القصص – ٥٠].

وجعل الله الشيء المتبع قسمين لا ثالث لهما :

إما ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ، وإما الهوى ، فمن اتبع أحدهما اتباعاً كلياً لم يمكن من اتباع الآخر وعلى هذا الناس بهذا الاعتبار قسمان :

١- اتباع الوحي .

٢- أتباع الهوى . وهذا كثير في القرءان . كقوله تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهوائهم ﴾ . [القصص – ٥٠] وقال تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ﴾ [البقرة – ١٢٠]. وغير ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وأتباع الأهواء في الديانات أعظم من أتباع الأهواء في الشهوات ، فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين . كما قال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [القصص – ٥٠]. وقال تعالى : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم في سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * بل اتبع الذين ظلموا أهوائهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾ [الروم – ٢٨]. وقال تعالى : ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ [الأنعام – ١١٩] . وقال تعالى : ﴿ ولن ترض عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ [البقرة – ١٢٠]. وقال في الآية الأخرى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ﴾ [البقرة – ١٤٥]. وقال تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [المائدة – ٤٩] . ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء كما كان السلف رحمهم الله يسمونهم أهل الأهواء .

(١) البزار رقم (٨٠) والحلية (٢/ ٣٤٣) وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٣٢٥) وله طرق وهو صحيح . انظر صحيح الجامع رقم (٣٠٤٥) .

وذلك أنّ كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه ، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولهذا قال تعالى في موضع : ﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ . [الأنعام - ١١٩] وقال في موضع آخر : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص - ٥٠] . (١)

ولهذا فالشيطان له باب واسع من الهوى ، وهو يدور حول المرء فلا يجد شيئاً يدخل منه إلا الهوى ، فلهذا لا تطاق مخالفة الهوى إلا بالرغبة في الله وثوابه والخشية من حجابه وعذابه ، ووجد حلاوة الشفاء في مخالفة الهوى ، فإن متابعته الداء الأكبر ، ومخالفته الشفاء الأعظم . قيل لأبي القاسم الجنيد رحمه الله : "متى تنال النفوس مناها ؟ فقال : "إذا صار داؤها دواها .

فقيل له : ومتى يصير داؤها دواها ؟ فقال : إذا خالفت هواها . " ومعنى يصير داؤها دواها ، أن داءها هو الهوى ، فإذا خالفته تداوت منه بمخالفته .

وقيل إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين .

وأهل الأهواء بهذه الأهواء التي ألفوها ، لا يستطيعون تركها ، لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بد منه ، والذي صار حاله كهذه الحالة المتردية تجده يلقي بنفسه في المهالك ، لنيل ما تطالبه به العادة وما يرسمه له الهوى ، فصار عبداً لهواه وشهوته ، فأداه هذا إلى الوقوع في البدع والضلالات . ولهذا كان اتباع الهوى من أكبر عوامل وجود البدع ، وتفشيها في أقطار الأرض ، وخصوصاً إذا اجتمع الهوى مع الجهل ، فهناك الطامة الكبرى يوم يتوهم أن ما ظهر له بجهله وهواه بعقله هو الطريق المستقيم لا غير ، فيمضي في هذا المنوال فيحيد عن الحق وهو ضال حيث ظن أنه راكب للجادة .

ولهذاالأمر العظيم نجد ان الله سبحانه وتعالى قد ذكر أن متبع الهوى متخذ إلهاً من دونه وذلك في موضعين من كتابه ، ففي الفرقان [٤٣] قوله تعالى : ﴿ أرءيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ . وفي الجاثية [٢٣] قوله تعالى : ﴿ أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (١٦٢/٤) ﴿ وأضله الله على علم ﴾ . "يحتمل قولين : أحدهما : واضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك . والآخر : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس " . اهـ

فالأمر كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : "إنه ما من يوم إلا والهوى والعقل يعتلجان في صاحبهما ، فأيهما قوي على صاحبه طرده وتحكم وكان الحكم له ، قال ابو الدرداء : "إذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعلمه ، فإن كان علمه تبعاً لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح " .

---

(١) رسالة - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ص (٥١- ٥٢)

ويا لله كم أغلق اتباع الهوى على صاحبه من ابواب التوفيق ، وفتح له من ابواب الخذلان فتراه يلهج بأن الله لو وفقه لكان كذا وكذا ، وقد سد على نفسه طرق التوفيق باتباعه هواه .

قال الفضيل بن عياض : " من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق " .

وبالجملة : - فالهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده ، فإن كان وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلال والقول على الله بلا علم ، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . وإن كان وقع في الزهد ، أخرج صاحبه إلى الرياء ومصانعة المخلوقين ، وحرم موافقة السنة والاتباع . وإن كان وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم ، وصده عن الحق فهو من الغاوين . وإن كان وقع في القسمة ، خرجت عن كونها قسمة عدل إلى قسمة ظلم وجور . وإن كان وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله ورسوله والمؤمنين ، حيث يولي بهواه ويعزل بهواه . وإن كان وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعةً وقربة يبتغى بها وجه الله تعالى . فما قارن شيئاً إلا افسده وأخل به .

وقد ضرب الله أسوأ الأمثال بتشبيهه متبع الهوى بأخس الحيونات وأردئها . قال تعالى : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ الآية [الأعراف - ١٧٥] .

نسأل الله العلي العظيم أن يعيننا على سلوك الحق ، وان يجنبنا مسالك الزيغ والهوى .

وهكذا ينبغي للعبد أن يتضرع بين يدي مولاه بأن يجنبه الهوى ، فقد جاء عند الطبراني بسند صحيح عن قطبة بن مالك - رضي الله تعالى عنه -قال : " كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يدعو بهذه الكلمات : (اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء) . "(١)

وفق الله الجميع إلى مسالك التقوى والرضى ، وجنبنا الزيغ واتباع الهوى .

ولعل في هذا القدر كفاية للمتبصر ، ودراية للمتأمل ، وهو كلام مستفاد من مواضع متفرقة من كتب العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (٣/١٤٤٧) وانظر الجامع الصحيح لشيخنا - حفظه الله تعالى - (١/ ٢٠٩) .

المبحث الثاني :-

لزوم الاتباع والحذر من الابتداع :-

من المعلوم ضرورة أن الدين قد تم بموته -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فهو لم يترك خيراً إلا ودل الأمة عليه ولا شراً إلا حذر الأمة منه ، فتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

جاء في البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمسروق : " من حدثك أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه إن الله تعالى يقول : ﴿ يأيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة -٦٧] . وفي لفظ لمسلم : " من زعم أن محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ . (١)

فلا مجال للزيادة في دين الله عز وجل ، ولا لاستحسان العقول ، بل هو الاتباع وترك الابتداع ، وعلى العبد أن يحذر من مشاققة الله ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ، وليتذكر وليتدبر في كل لحظة من لحظاته ، وسكنة من سكناته ، وعيد الله تعالى بقوله : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ [النساء - ١١٥] .

ويكأن المبتدعة لهم كفل منها ونصيب وافر . وهو وعيد والله تخز منه أجساد أهل الاتباع ، وتلين قلوبهم وتنزجر عن الابتداع . فهذا تبصير للمتبع ، ووعيد وزجر للمبتدع ، ليكن على حذر تام من الزيادة والنقصان في دين الله سبحانه وتعالى وشرعه التام .

فمن لم يكتف بما شرع الله له فلا كفاه الله بل الشر إليه مقبل ، والخير منه مدبر ، وويل له يوم يضل ويشقى ، ويوليه الله ما تولى ، فيخسر بذلك الدين والدنيا ، بل من له في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، يوم لا يضيع فيه الحق ، ولا يساند فيه الباطل . فلمن كان هذا حاله ، وعلى الدرب دأبه ومآله يقول الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران - ٨٥] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (٣٢٦/١) : " أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه " .

قلت : فالإسلام المحلى بالألف واللام في الآية هو ما جاء به سيد الأنام محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ، على التمام ، بما سنه وشرعه من السنن والأحكام في العبادات ، وما يجري من المعاملات بين الأنام ، فمن أتى بشيء ليس منه ولا عليه أثارة من علم إنما هو مستحدث ، ما أنزل الله به من سلطان ،

---

(١) البخاري كتاب التوحيد (٥٠٣/١٣) رقم (٧٥٣١) ومسلم (١٠/ ١٥٢) رقم (٢٨٧) .

فليعض على أنامله ، فويل له من الخذلان ، يوم أن يصير عمله هباءً منثوراً ، ما له من حسبان ، فيجي بهذا الخسران ، وسوء العاقبة . فإذا كان هذا هو حال من حاد الله ورسوله من أهل البدع والأهواء ، فليكن المتبصر والسالك على الحق على حذر من مجالسته ومسايرته ومجاراته ، فإن القلب ليس بيده . ولهذا وذاك حذر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من الابتداع ليتجلى لأهل الإيمان واليقين خطورته ؛ ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول : (من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ولمسلم [باب نقض الأحكام الباطلة ومحدثات الأمور] بلفظ : (من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد) أي هو المردود على صاحبه . قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم [(١)] : " قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود فهو باطل غير معتد به ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات " . اهـ

وعند مسلم [(٢)] عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ويقول: (بعثت أنا والساعة كهاتين) ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: (أما بعد فإن خير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) .

وعند أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم [(٣)] بسند صحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : "وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ... إلى قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) .

إن هؤلاء المبتدعة الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، سوف يخسرون بين يدي الله سبحانه في ذلك اليوم الذي أمره عظيم ، وهوله شديد ، لم يلاق العباد مثله . جاء في الصحيحين [(٤)] عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بموعظة فقال : (ياأيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً . كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين ، ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم - عليه السلام - ، ألا وإنه سيجاء برجال من

---

(١) (١٢/ ١٦) .

(٢) مسلم رقم (٨٦٧) .

(٣)أخرجه ابو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وابن ماجة رقم (٤٣) وأحمد (٤/١٢٦-١٢٧) .

(٤) البخاري (٦/ ٢٧٥) ومسلم رقم (٢٨٥٩) .

أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال – أي جهة جهنم – فأقول : يا رب أصحابي ... فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ العزيز الحكيم ﴾ [المائدة ١٧٧/١٨٨] . فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم).

والشاهد من هذا كله أن العاقبة وخيمة في حق أهل البدع والأهواء في ذلك اليوم الحق .

ولو نظرنا بمنظار صحيح إلى زماننا اليوم وما فيه لهال الأمر وعظم الخطر ، من سوء احوال المسلمين وما آل إليه أمرهم من التبديل والتحريف ، وعبادة غير الله ، وعبادة الله بما لم يشرع لقلة العلم ، وذهاب البصيرة ، وحلول الجهل والعمى إلا عند من رحم الله – وقليل ما هم – .

وما اورثهم هذا الحال إلا ابتعادهم عن المنهج السديد والصراط المستقيم ، والطريق التي كان عليها اسلافهم ، ونفورهم الدائم عن العلم النافع وهديه النابع من الكتاب والسنة على ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – والأصحاب ، ففتح باب الابتداع والضلال ، فأصاب المسلمين ما اصابهم من الضعف والفساد والانحلال ، فقد رماهم الشيطان بأعظم اسهمه ، وغرر عليهم بقوله وزخرفه ، فكان الحال كما وصف .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى : " فأول ما ابتدأ به إبليس انه أمرهم بالإعراض عن العلم فدفنوا كتبهم وغسلوها وألزمهم زاوية التعبد فيما زعم وأظهر لهم من الخزعبلات ، ما أوجب إقبال العوام عليهم ، فجعل إلاههم هواهم ... إلى قوله : "وبالعلم يعلم فساد الطريقين ويهتدى إلى الأصوب ". اهـ [1]

فنسأل الله سبحانه أن لا يحرمنا نور وهداية العلم ، فإن نوره النور في الظلم ، وأنسه الأنس في الوحدة ، وهو الوزير عند كل حادثة ، وهو الصاحب سفراً وحضراً ، وسروراً وحزناً . فأنعم به يا طالب الحق من صاحب ومرافق وهاد إلى طريق الجنة .

ولتعلم أن من تلبيس إبليس على كثير من أبناء المسلمين ، صدهم عن العلم الشرعي ، الذي به بيان الهدى من الضلال ، والغي من الرشاد ، والطاعة من المعصية ، والسنة من البدعة ، والحق من الباطل . ومن عرف الحق عرف أهله ، ومن عرف الباطل أغتر بأهله . ولهذا لما كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، اقبل إلى الناس بخيله ورجله ، وجند ما شاء من جنده ، فأوقع الكثير في حباله وصيده .

فتأمل هذا . واعلم أن دعوة الشيطان على مراتب ومنازل كما ذكر بعض أهل العلم فأعلاها :

مرتبة الكفر والشرك ، ومعاداة الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه ، وهذا أول ما يريده من العبد ، فإن لم يستطع انتقل إلى المرتبة التي تليها خطراً وهي :

---

(١) صيد الخاطر ص (٢٠٩) .

مرتبة البدعة : وهي احب إلى الشيطان من المعصية لأن ضررها في الدين عظيم ، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى مرتبة تليها وهي :
الكبائر ثم الصغائر ثم يشغله بالمباحات ثم بفعل المفضول دون الفاضل . هذه مراتب الشيطان ومقاصد دعوته فكن منها على حذر .
وليعلم من هذا كله أن الابتداع في الدين مسخطة للرب ، مرضاة للشيطان . ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله : " البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها "[1].
وبالجملة : – ففساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، أو بالعمل على خلاف الحق والصواب ، فالأول البدع . والثاني اتباع الهوى .[2]
قال العلامة ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (١/١٣٦) : " وهذان هما اصل كل شر وفتنة وبلاء ، وبهما كذبت الرسل ، وعصي الرب ، ودخلت النار ، وحلت العقوبات " اهـ .
فاتباع الهوى مع الابتداع هما جماع الشر كله ، ومنبت الضلال بجله ، وهما ميدان المخالفات العظيمة خصوصاً إذا اجتمعا فتلك المصيبة الكبرى ، والبلية العظمى ، قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان ص٥٣٤: " والفتنة نوعان : فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين ، وفتنة الشهوات . وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بأحدهما ، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى ، فهناك الفتنة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد الحاكم علي الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله فهو من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم – ٢٣]. وقد اخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص–٢٦] . وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين ، وفتنة أهل البدع على حسب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل ، والهدى بالضلال " اهـ .
فتعين هنا كون العلاج الوحيد لهذه الفتنة منحصر في تجريد اتباع الرسول –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ظاهراً وباطناً ، منشطاً ومكرهاً ، عسراً ويسراً ، مدخلاً ومخرجاً ، والعمل بما جاء به ، وتحكيم شريعة الله تعالى في صغار الأمور وكبارها ، في القول والعمل .

---

(١) ذكره اللالكائي – رحمه الله تعالى – في شرح أصول أهل السنة برقم (٢٣٨) وابن الجوزي في التلبيس ص (١٥) .
ومعنى يتاب أي : يرجع .
(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص (٢٥) .

وكأني أجزم بأن هذا المسلك لن يتأت إلا بالعلم النافع ، فهو الدواء العاجل لكل عدو صائل .

فإلى أهل الغيرة من ذوي الاتباع يرجع شأن التحذير من هؤلاء المبتدعة ، ليقف عليهم الرعاع ومن لا علم عنده موقف من كان قبله من السلف أهل الاتباع .

أيترك يا أهل السنة هؤلاء في شأنهم ينْظَرُوْن ، وللإضلال الخلق يسعون ، وبكل واد ينطقون بكل بدعة وضلالة ؟ .

إن الواجب نحو السنة يحتم علينا بيان خطرهم والتحذير منهم ، ومن بدعهم ومخالفاتهم حتى تجتنب ، ويعرف الناس منهم كل عجب ، مما هو في الشرع غير مستطب ، وهذا من بعض حقوق الله على عباده . فرد الطاعنين في الكتاب والسنة ، ومجاهدتهم بالحجة والبيان ، وإقامة الدليل والبرهان عليهم حتى ينجلي الحق وينكسر الباطل .

وإن استدع الأمر جهادهم بالسيف والسنان كحال المبتدعة البغاة من الخوارج وغيرهم الذين يستحلون الدماء ، فهؤلاء يقاتلون كما وردت النصوص في هذا الشأن .

وأما من كان شأنه تلميعهم بإضفاء الألقاب البراقة عليهم ، فليتق الله ربه . إذ كيف يلمع أمثال هؤلاء الطاعنين في الدين وأهله ، الذين يضربون النصوص ببعضها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، والذين يقدمون الأهواء وزبالات العقول على كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في كل ما هو عنه العبد مسؤول .

ووصيتي لهم أن يرجعوا إلى المنقول عن السلف من الأئمة الجهابذة الفحول ، في مثل هذه المواطن الوعرة التي زلت فيها الأقدام ، وتشابكت فيها الأصابع وتحيرت الأفهام ، فهم خير القرون بعد النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– من الأنام ، فأقوالهم شافية ، وبالمطلوب كافية ، وهم مفاتيح الخير ومغاليق الشر . فلينظر من ابتلي بما تقدم من تلميع المبتدعة والمدافعة عنهم إلى طريقة السلف في التلقي والاستدلال وفي الفهم والاستنباط ، وليعض على طريقتهم بالنواجذ ، فسبيلهم هو سبيل الحق والهداية والرشاد والدراية والفلاح ، من انتهجه حاز سعادة الدارين ، وجمع كلا الخيرين ، والله المأمول أن يوفقنا إلى كل حق من المنقول والمعقول . وقد قلت في هذا ناظماً ، وبالشعر ناطقاً :

فبه نجاة العبد في دنياه — وسعادة يحضاها في الدارين
وبغيره يحضى الشقاوة والردى — يجني الضلال وكل شيء دان
فالزم سبيل العلم والنور الذي — رفع الإله بنيله الثقلان
فبه بدت وتكشفت كل الظلم — من بدعة وضلالة هوان
فالله يحفظ ديننا وتراثنا — من شر كل معاند وجبان
وفي الأخير صلاتنا وسلامنا — للمصطفى من خيرة الإنسان

وبالجملة :- فإن السلف قد حضوا وحثوا على الاتباع ، وحذروا من الابتداع ، وأقوالهم في هذا مشهورة ، وبالأثبات العدول منقولة ، فهي اشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، فالسعيد من وفق إلى منهجهم بل « إن من سعادة الحدث – صغيرالسن – والأعجمي أن يوفقهم الله لعالم من أهل السنة » (١)

وقد تقدم في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة ذكر طائفة من أقوالهم فأغنى عن إعادتها ، وهي دالة قاطعة على ضلال من سار على غير منهجهم ، وارتضى بفهم غيرهم من أهل البدع والأهواء .

فلتجعل يا طالب الحق الإخلاص لله عز وجل والاتباع لشرعه نصب عينيك ، وادع إلى الله عز وجل على بصيرة وعلم ودراية ، واعلم أن لك أجراً عظيماً لو وفقك الله لدعوة غيرك وإخراجه من البدعة إلى السنة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الباطل إلى الحق .

كما أن من دعا إلى احياء البدع والضلالات وسعى في نشرها بين الأمة وزره عظيم ، ويعظم إذا كان له أتباع . ففي الصحيحين (٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها – وربما قال سفيان من دمها – لأنه سن القتل أولاً) .

وقال الله تعالى : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ [النحل – ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ [العنكبوت – ١٣] .وروى الإمام مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) . وجاء أيضاً عنده من حديث جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وفي الحديث قصة وموضع الشاهد منه أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله اجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً) .

وليس في سياق هذا الحديث المتقدم دليل لما زعم بعضهم من أن البدعة على قسمين :

١) حسنة . ٢) سيئة .

فهذا من الصواب ببعيد ولا يقول هذا إلا من لا باع له في العلم ولا بصيرة بكيفية الاستدلال وطرقه

---

(١) قاله الإمام أيوب السختياني – رحمه الله تعالى – كما عند اللالكائي (١/ ٦٠) .

(٢) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (٧٣٢١) ، مسلم : رقم (١٦٧٧) .

وإنزال الأحكام حتى يوافق الدليل المدلول . بل هو بهذا الفهم قد حشر نفسه في زمرة الجاهلين وما أكثرهم ، وعرض نفسه لنقد العلماء الأئمة العاملين . فليعلم أنه للحق مجانب وللباطل جالب ، وإطالة الكلام على هذه المسألة ليس موضعه هاهنا . ولكن ليعلم إجمالاً : إن البدع كلها ضلالات سيئة «مردودة ليس منها شيء مقبول ، وكلها قبيحة ليس فيها حسن ، وكلها ضلال ليس فيها هدى ، وكلها أوزار ليس فيها أجر ، وكلها باطل ليس فيها حق »[1]. فهي برمتها تشريع لما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطاناً .

وصدق من قال :

وكل من خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه الخلاف نصبا ... فرده إليهما قد وجبا
فالدين إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحدس العقل.

(١) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله تعالى – (٥٢٣/٢) وهناك كلام نافع لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى– أودعه في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص (٢٢-٢٣).

الفصل الثالث : في التحذير من أهل الأهواء والبدع

وتحته فروع :-

الفرع الأول : - مجامع مفاسد البدعة في أمرين .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الاعتصام (٦١/٢): " وأما البدع فثبت لها امران :

أحدهما : أنها مضادة للشارع ومراغمة له حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة لا نصب المكتفي بما حد له .

الثاني : أن كل بدعة – وإن قلت – تشريع زائد أو ناقص أو تغيير للأصل الصحيح ، وكل ذلك قد يكون على الانفراد وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع فيكون قادحاً في المشروع ، ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر . إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير – قل أو كثر – كفر فلا فرق بين ما قل منه أو كثر . فمن فعل مثل ذلك بتأويل فاسد أو برأي غالط رآه ، أو ألحقه بالمشروع إذا لم تكفره قد يكون في حكمه فرق بين ما قل منه وما كثر لأن الجميع جناية لا تحتملها الشريعة بقليل ولا بكثير .ويعضد هذا النظر عمومُ الأدلة في ذم البدع من غير استثناء " اهـ .

الفرع الثاني : – هجر المبتدع : مشروعيته :

بناءً على ما تقدم من بيان خطورة البدع والأهواء شرع الهجر للمبتدعة وأهل الأهواء ، والتحذير منهم وبيان حالهم ، إذ هجر المبتدع والتنكيل به من لوازم مبدأ الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة ، وهو مبدأ عظيم علم من الدين بالاضطرار ، ولهذا لما ضعف بين المسلمين هذا الجانب العقدي دب بسبب هذا الضعف الشر المستطير من ظهور البدع وانتشارها على مستوى كبير في القرى والأمصار والسهول والوديان . فعلت رايات أهل البدع والأهواء ، وعشعش الضلال في الأمة ، وعم الجهل في أوساط المعمورة ، وكان لأهل البدع الصولة والجولة في أوساط الأمة . فإلى الله المشتكى .

ولهذا فإقامة هذا المبدأ العظيم كما دلت عليه أدلة الشرع الحكيم« تكون (بـه) كلمة أهل السنة ظاهرة ، ومذاهبهم كالشمس نايرة ، ونصب الحق زاهرة ، وأعلامها بالنصر مشهورة ، وأعداؤها بالقمع مقهورة ، ينطق بمفاخرها على أعواد المنابر ، وتدون مناقبها في الكتب والدفاتر ، وتستفتح بها الخطب وتختم ، ويفصل بها بي الحق والباطل وتحكم ، وتعقد عليها المجالس وتبرم ، وتظهر على الكراسي وتدرس وتعلم ، ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر ، أو بنشاط معاند فاجر يضل الناس خفياً ببدعته ،أو يقهر ذاك بسيفه وسوطه ، أو يستميل قلبه بماله ليضله عن سبيل الله ، حمية لبدعته ، وذباً عن ضلالته ، ليرد المسلمين على أعقابهم ، ويفتنهم عن أديانهم بعد أن استجابوا لله وللرسول طوعاً كرهاً ، ودخلوا في دينهما رغبة أو قهراً حتى كملت الدعوة واستقرت الشريعة » . [1]

(١) شرح اعتقاد أهل السنة اللالكائي (١٤/١،١٥) .

وما انتهى إليه حال كثير من الناس في زماننا من ضياع هذا المبدأ العظيم بسبب انفتاح العالم عليهم من كل وجه ، واختلاط العرب بالعجم والحابل بالنابل ، وظهور الملل والنحل والأهواء واستفحال داء التحزب المقيت في جسد الأمة كل هذا وذاك أدى إلى ضعف كبير عند هؤلاء في جانب عقيدة الولاء والبراء .

وضياع هذا الجانب العقدي عند أفراد الأمة وجهلهم به من جانب آخر ، وقعود بعض أهل العلم أو غياب بعضهم وتبصير الأمة في أمر اعتقادها . أدى هذا كله إلى ظهور البدع وانتشارها ، وانتصار شوكة أهلها حتى فسد الصغير والكبير ، واندثرت السنن والآثار عند الجم الغفير . فإلى الله المشتكى من هذه الغفلة ومن هذا التقصير .

وبالجملة : – فعلى المسلم أن يصلح ما فسد من جانب الولاء والبراء – دون اغترار بالكثرة المقصرة – .

ولتكن يا طالب الحق على حذر تام من أولئك المتحذلقين ، الذين يريدون أن يحولوا بين المسلمين وبين هذا الأمر العظيم والأصل الأصيل ، الذي خرجت نصوصه مخرج التواتر ، وقطع به أهل العلم في الكتب والدفاتر .

كن حذراً غاية الحذر من شعاراتهم المضلة ، وأقوالهم المزلة .

إنك تجد من هؤلاء من يسع إلى هدم هذا الجانب العقدي العظيم بمعول الإنسانية والناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، فلا فرق عنده بين سني ومبتدع ، ومحق ومبطل . ومنهم من يهدمه بمعول التسامح والعاطفة الجياشة ، وآخر يهدمه بمبدأ تأليف القلوب وجمع الصفوف كما زعم . وآخر أيضاً يسعى هدمه بمبدأ نبذ الشذوذ والتطرف . وكل هذه مؤامرات تخريبية تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز بل على الإسلام .

اعلم علمني الله وإياك أن من لوازم هذا المبدأ العقدي ، اتخاذ الصّوارم المنكية على أهل البدع والأهواء المخزية ، ومن هذه الصوارم هجر المبتدعة وإذلالهم وقهرهم والناس في هذا الباب على أقسام كثيرة بسبب مخالفتهم لأمر الله فمنها :

« أن يكون كافراً فإن كان حربياً فهو مستحق للقتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة ، وإن كان ذمياً فلا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه ، والتحقير له بالاضطرار له إلى أضيق الطريق ، وترك البداءة في السلام . فإن سلم قيل له : وعليك . والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته ، ومن المكروه الاسترسال إليه والانبساط كما يفعل بالأصدقاء .

والقسم الثاني : – المبتدع فإن كان ممن يدعو إلى بدعة وكانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره اشد من الذمي ، لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة ، وإن كان ممن لا يكفر بها فأمره بينه وبين الله تعالى أخف من أمر الكافر لا محالة ، ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر ، لأن شر الكافر غير متعد ، لأنه لا يلتفت إلى قوله بخلاف المبتدع الذي يدعو إلى بدعته لأنه يزعم أن ما يدعو إليه حق فيكون سبباً لغواية الخلق ، فشره متعد . فإظهار بغضه والانقطاع عنه ومعاداته وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير

الناس عنه اشد . فأما المبتدع العامي الذي لا يقدر أن يدعو ، ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون ، والأولى أن يتلطف به في النصح ، فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد استحباب الإعراض عنه ، وإن علم أن ذلك لا يؤثر لجمود طبعه ورسوخ اعتقاده في قلبه فالإعراض عنه أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها»[1]

وهذه العقيدة قد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة قال الله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام – ٦٨] . وفي هذه الآية دلالة واضحة على حرمة مجالسة أهل الأهواء والبدع وأصحاب الكبائر والمعاصي . وقال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جنهم جميعاً ﴾ [النساء – ١٤٠] . وقد نص العلماء على شمولها لأهل البدع والأهواء كما في تفسير القرطبي رحمه الله (٥/٤١٨) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ [هود – ١١٣] قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (٩/ ١٠٨) : " الصحيح في معنى هذه الآية أنها دالت على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم ... " .

وأدلة الكتاب في هذا المقام كثيرة وفيما سبق كفاية وأما أدلة السنة فاذكر طائفة منها :

جاء في البخاري (٨/١٥٧) ومسلم رقم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – هذه الآية : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [آل عمران –٧]. قالت : قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – : (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سمى الله فاحذرهم) .

وفي حديث الصحيفة المشهور عن علي رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وفيه : (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . متفق عليه . وفي مقدمة مسلم (٦/١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال : (سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم) .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي – رحمه الله تعالى – ص (٩٨) .

وفي مسلم أيضاً رقم (١٩٥٤) عن سعيد بن جبير أن قريباً لعبد الله بن مغفل خذف قال : فنهاه ، وقـال : " إن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - نهى عن الخذف . وقال : (إنها لا تصيـب صيـداً ولا تنكأ عدواً ولكنها تكسر السن وتفقأ العين) . قال : أحدثك أن رسـول الله -صلى الله عليـه وعلى آلـه وسلم - نهى عنه ثم تخذف لا أكلمك أبداً ".

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم (٩٢/١٣) : " قولـه : أحدثـك أن رسـول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - نهى عن الخذف ثم تخذف لا أكلمـك أبـداً " فيـه هجران أهل البـدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم ، وأنه يجوز هجرانه دائماً . والنهي عن الهجران فوق ثلاثة ايـام إنما هـو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا ، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائم . وهذا الحديـث مما يؤيـده نظائر له كحديث كعب بن مالك وغيره . اهـ

قلت : والصحابة قد هجر بعضهم بعضاً في أمر دينهم. قال السيوطي رحمه الله في رسالته -الزجـر بـالهجر - (ص٣٩) : " وقد جمع بعضهم أسماء من كان يزجر بالهجر من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فذكر منـهم : عائشة وحفصة وسعد ابن أبي وقاص وعمار بن ياسر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عـوف وسـعيد بـن المسيب وطاووساً ووهب ابن منبه والحسن البصري وابن سيرين وسفيان الثوري - هجـر ابـن أبي ليلـى- وخلقاً إلى أن ختم بالنووي فإنه كان يزجر بالهجر ، ويـراه وقرره في شـرح مسـلم وغيره أوضـح تقرير ، واحتج له بعده من الأدلة ... " اهـ

قال الإمام الخطابي أبو سليمان رحمه الله تعالى في معالم السـنن (٥/٧) - المطبـوع بحاشية مختصـر سـنن أبي داود للمنذري - في صدد الكلام على حديـث كعـب ابـن مـالك : " مـن العلـم : أن تحريـم الهجـر بـين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون بينهم من قبل عتب وموجدة أو التقصير يقع في حقـوق العشـرة ونحوها ، دون ما كان من ذلك في حق الدين فإن هجـرة أهـل الأهـواء والبدعـة دائمـة علـى مـر الأوقـات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق".

وقال الإمام ابن عبد البر النمري القرطبي حافظ المغرب في كتاب التمهيد لـه (١١٦/٦-١١٨) : " وهـذا الحديث [1] وإن كان ظاهره العموم فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك حيـث أمـر رسـول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أصحابه أن يهجروه ولا يكلموه هو وهلال بـن أميـة ومـرارة بـن الربيـع لتخلفهم عن غزوة تبوك حتى أنزل الله توبتـهم وعذرهـم ، فـأمر رسـول الله -صلـى الله عليـه وعلـى آلـه وسلم - أصحابه أن يراجعوه الكلام ، وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يـهجر المرء أخـاه إذا بدت (له) منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له وزجراً عنها . والله أعلم ".

(١) أي حديث انس (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ...) .

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني - رحمه الله تعالى - في عقيدة أصحاب الحديث (ص١١٢) : " ... واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم ، وإخراجهم وإبعادهم ، وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ... " .

وقال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة (١/٢٢٦-٢٢٧) بعد أن ذكر حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه : " وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه ، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم ، وعرف رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - براءتهم ، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم ، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ، ومهاجرتهم " .

وقال أبو يعلى الموصلي رحمه الله تعالى : " أجمع الصحابة والتابعون على مقاطعة المبتدعة " .

ونقل الحافظ في الفتح (١٠/٤٩٦) عن ابن عبد البر قوله : " أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه ، أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة ، فإن كان كذلك جاز ، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية " .

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٤٥) : " وفيه لا هجرة بعد ثلاث يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير في حقوق العشرة والصحبة ، ما كان من ذلك في جانب الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق فإنه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً ، وقد هجر نساءه شهراً ، وهجرت عائشة ابن الزبير مدة ، وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وماتوا متهاجرين ، ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر " . اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٢/١٣٢): " ويجب عقوبة كل من انتسب إلى أهل البدع أو ذب عنهم أو أثنى عليهم أو عظم كتبهم أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم .بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام عليهم من أوجب الواجبات " .

وقال أيضاً كما في (٢٨/١٣١) : " ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم ، والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين ".

وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الزجر بالهجر (ص٥٤) : " وقال الرافعي في شرح المسند : حق المبتدع أن يهجر وأن يحترز عن مكاتبته ومجالسته " .

وقال العلامة محمد إبن إبراهيم الوزير رحمه الله تعالى في العواصم والقواصم (١/٢٢٠) : " أما بيان بدعهم ، وكف شرهم على الوجه المشروع فواجب أو مستحب ... وأجمعت الأمة على ذلك مع ظهور التأويل منهم والإجماع عليه ".

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله تعالى شارحاً لكلام ابن قدامة رحمه الله تعالى : "ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم ... ": قال حفظه الله : وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... ﴾ [المجادلة ٢٢] . ولأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك ... "(١)

الفرع الثالث : - مراعاة المصلحة في الهجر :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم و كثرتهم ، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفته كان مشروعاً ، وإن كان لاالمهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ، ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يتألف قوماً ويهجر آخرين ... "(٢) .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : " فإذا لم يكن في هجرانه انزجار ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجره مأموراً بها كما ذكر أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك أنه لم يكونوا يقوون بالجهمية ، فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة ، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي ، كذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم "(٣) .

قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى : " أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره ، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره ، إن كان في هجره مصلحة فعلناه وإن لم تكن

---

(١) لمعة الاعتقاد ص (١٥٩) .

(٢)مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦) .

(٣)راجع مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٢).

فيه مصلحة اجتنبناه . وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : (لا يحل لرجل مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث) فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة ، أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو فإن ما لا مصلحة فيه تركه هو المصلحة "[١]

قلت : ومراعاة المصلحة والمفسدة قاعدة جليلة من قواعد الشرع الحكيم ، وفق الله لفهمها أهل العلم الراسخين الذين هم قدم صدق في الآخرين ، فينبغي التعويل عليهم في فهم المصالح والمفاسد . أما أن ينتصب لفهم المفسدة من المصلحة الرعاع وأحداث الأسنان من طلبة العلم فهذه طامة عظيمة ، وفتنة مريرة ، فإنك تجد من آثارها جعل مقادير المفاسد والمصالح هو العقل والهوى تارة أو قلة العلم والبصيرة تارة أخرى .

وبالجملة : - فجماع هذا الفرع داخل في القاعدة العامة « فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإن (القطيعة والهجر مثلاً) وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة ، فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته ، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد رايه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل أن تعوز النصوص من كان خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام » .[٢]

ومن لوازم مراعاة المصلحة والمفسدة في هذا المقام النظر في البدعة من حيث:

١) كونها مكفرة أو مفسقة .
٢) كونها حقيقية أو إضافية .
٣) كونها مشتبهة أو بينة واضحة .
٤) كونها منتشرة ظاهرة أو خفية مستترة .

وهكذا ينظر في كل من الهاجرين والمهجورين من بحيث :

١) القوة والضعف.
٢) كون الهاجرين أصحاب علم وبصيرة وسنة .
٣) كون المهجور داعية أو غير داعية .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رقم (٣٤٧) وانظر المجموع الثمين ص (٣٠و ٣١) .

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٤٦و ٤٧). عدا ما بين المعكوفين . زدناه توضيحاً .

٤) كون المهجور قامت عليه الحجة ، واستبانت له المحجة من عدم ذلك .

٥) كون المهجور ذا شهرة وأتباع دون من لم يكن كذلك .

وينظر أيضاً في الهجر من حيث :

١) حصول المنفعة وقيام المصلحة .

٢) حصول المضرة وقيام المفسدة .

الفرع الرابع :-

في بيان تحذير السلف من أرباب الأهواء والبدع . وتحته ثلاثة مقاصد :-

المقصد الأول : - الكلام في أهل البدع من النصيحة لا الغيبة :

إن كثيراً من أرباب الجهل وممن يدعي العلم والزهد يعيب على أهل السنة والحق كلامهم في أهل البدع والأهواء ، ويعتبرون ذلك منهم غيبة ، وما دخل عليهم الدخيل إلا من جهلهم بمقاصد الشرع الحكيم ، وأحوال وأقوال السلف الصالحين . فليعلم هؤلاء جميعاً أن الكلام في أهل البدع والأهواء ، والتحذير منهم يعتبر من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه وللأئمة المسلمين وعامتهم ، ومن عرف اعتقاد أهل السنة والجماعة تكشف له الحجاب ، عن كثير مما يوردونه في هذا الباب من شبه واهية ، ومن لم يعرف اعتقاد السلف حق المعرفة وقع في حبال هؤلاء واغتر بحالهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب ، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه ، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ، ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم ، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذماً مطلقاً " .

اقول : قد دلت النصوص الشرعية على جرح المبتدعة وأهل الأهواء . ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال : " ائذنوا له . بئس اخو العشيرة ".وفي البخاري أيضا عنها رضي الله عنها قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : (ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً) . وثبت عند أحمد عن ابي قلابة رضي الله عنه قال : "رأيت رجلاً بالمدينة ، وقد طاف الناس به وهو يقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- . فإذا الرجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال : فسمعته يقول : "إن من بعدكم الكذاب المضل ، وإن رأسه من بعدك حبك حبك ". ثلاث مرات . وإنه سيقول : أنا ربكم . فمن قال : لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك . لم يكن له عليه سلطان ". [1]

---

(١) انظر الجامع الصحيح لشيخنا (١٨٩/١)

وفي سنن الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : " كان على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثوبين قطريين غليظين ، فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه . فقدم بز من الشام لفلان اليهودي . فقلت : لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى ميسرة ؟ فأرسل إليه فقال : قد علمت ما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي . فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (كذب قد علمني أني من أتقاهم لله وأداهم للأمانة) [1].

والشاهد منه قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (كذب ...) . فهو جرح وقدح .

وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : " كنا جلوساً عند النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليحلقني فقال ونحن عنده : (ليدخلن عليكم رجل لعين) . فوا الله ما زلت وجلاً ، أتشوف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان يعني الحكم "[2] . فقوله : (رجل لعين) . جرح وقدح .

وثبت في مستدرك الحاكم عن جندب قال : (" جاء إعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ، فصلى خلف رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فلما سلم رسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أتى راحلته ، فأطلق عقالها ، ثم ركبها ثم نادى : " اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا تشرك في رحمتنا أحداً." فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (ما تقولون أهو أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوا ما قال ؟) . قالوا :" بلى . فقال : (لقد حظر رحمة واسعة .إن الله خلق مائة رحمة ، فأنزل رحمة تعاطف بها الخلائق جنها وانسها ، وبهائمها ، وعنده تسعة وتسعون ، تقولون : أهو أضل أم بعيره ؟ .) [3]

والشاهد فيه قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (أهو أضل أم بعيره ؟) فهذا جرح وقدح .

هذا وقد استوعب أدلة هذا المقام من الكتاب والسنة شيخنا المحدث العلامة | مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله تعالى في كتابه النفيس الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١/١٨٩-٢٠٩). وفي مقدمة الطبعة الثالثة من كتابه المخرج من الفتنة ، وكتاب نشر الصحيفة .

فمن أراد أن يقف عليها فليراجعها إن شاء ، ولولا خشية الإطالة والإطناب لنقلناه . والله المستعان .

ثم إن كلام الأئمة في هذا الباب يجلي الحق ويكشف الحجاب عن شبههم . فعليك يا طالب الحق به ودع عنك أقوال الجهال والرعاع ممن لا علم عنده .وسأورد بعض النقولات عنهم فدونك هي :

جاء عند اللالكائي رحمه الله تعالى في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى أنه قال : " ليس لصاحب البدعة غيبة " . وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال : " ثلاثة ليست لهم

---

(١) الجامع الصحيح (١/١٩١) .

(٢) المصدر السابق (١/١٩٥) .

(٣) المصدر السابق (١/١٩٠) .

حرمة في الغيبة : أحدهم صاحب بدعة الغالي ببدعته . " وقال أيضاً : " ليس لأهل البدع غيبة . "(١)
وقال أيضاً : " ليس بينك وبين الفاسق حرمة . "(٢)

وقال إبراهيم النخعي أيضاً : " ثلاثة كانوا لا يعدونهن من الغيبة : الإمام الجائر ، والمبتدع ، والفاسق المجاهر بفسقه . "(٣)

وجاء عن الإمام شعبة بن الحجاج رحمه الله تعالى قوله : " تعالوا حتى نغتاب في الله تعالى ساعة . "(٤)

وفي شرح علل الترمذي (٣٤٩/١) أن أبا زرعة قال : " سمعت أبا مسهر يسأل عن الرجل يغلط ويهم ويصحف ، فقال بين أمره . فقلت لأبي زرعة : أترى ذلك غيبة ؟ قال : لا ".

فانظر يا رعاك الله وتمعن في كلامه رحمه الله فإذا « كان من الواجب كشف الوهم والغلط والخطأ والسقط والسهو وعبور النظر ونحوها من الأسباب الصارفة عن وجه الصواب – مع أنه لا غول فيها ولا تأثيم – لكن في ترك الوهم ، وما جرى مجراه ممن علمه إبقاء لشرع مبدل ، وهذا غش .. فواجب على من علمه النصح للأمة ببيان الغلط والوهم حتى يعاد الحق إلى نصابه . فإذا كان هذا فيما لا إثم فيه فكيف بكشف المخالفة والنقض على المخالف لإنقاذ الناس من ضلالة أو هوى ؟ هذا أوجب وألزم . والله أعلم وأحكم . » (٥)

وذكر برهان الدين بن مفلح رحمه الله تعالى عن عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى أنه قال : " جاء أبو تراب النخشبي إلى أبي فجعل أبي يقول : فلان ضعيف ، وفلان ثقة . فقال أبو تراب : لا تغتب العلماء . فالتفت إليه أبي فقال : ويحك هذه نصيحة وليست بغيبة . " (٦)

وقال المروذي رحمه الله تعالى : « قلت لأبي عبد الله – يعني إماما منا – ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع ؟ فكلح في وجهه وقال : إذا هو صام وصلى واعتزل الناس أليس إنما هو لنفسه ؟ قلت : بلى . قال : فإذا تكلم كان له ولغيره . يتكلم أفضل » (٧)

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : " صاحب الهوى في الدنيا ليس هو غيبة ". (٨)

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٨/١) رقم (٢٧٦-٢٧٨-٢٨٠٩) ط دار طيبة .

(٢) انظر كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ص (١٤٢) رقم (٢٢٣) ورجاله ثقات .

(٣) انظر كتاب الصمت ص (١٤٢) .

(٤) الكفاية للخطيب (٩١) . وشرح علل الترمذي (٣٤٩/١) .

(٥) الرد على المخالف من أصول الإسلام ص (٤٣-٤٤) لبكر بن عبد الله أبو زيد – حفظه الله تعالى – .

(٦) المقصد الأرشد لابن مفلح (٢٨٤/٢). وانظر شرح علل الترمذي (٣٤٩/١-٣٥٠) .

(٧) طبقات الحنابلة (٢١٦/٢).

(٨)مختصر الحجة على تارك المحجة . لنصر المقدسي – رحمه الله تعالى – ص (٥٣٨) .

وقال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في كتابه العلل الجامع (٥/٧٣٨-٧٣٩) : "وقد عاب من لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال ، وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال ، منهم : الحسن البصري وطاووس تكلما في معبد الجهني ، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب ، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور ، وهكذا روي عن أيوب السختياني وعبد الله بن عون وسليمان التيمي وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال ، وضعفوا ، وإنما حملهم على ذلك عندنا والله أعلم . النصيحة . لا يظن بهؤلاء أنهم أرادوا الطعن على الناس او الغيبة إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا ، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة ، وبعضهم كان متهماً في الحديث ، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ ، فاراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبيتاً ، لأن الشهادة في الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال . قال : وأخبرني محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثني أبي « قال : سألت سفيان الثوري وشعبة ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة عن الرجل تكون فيه تهمة أو ضعف أسكت أو أبين ؟ قالوا بين . »[١]

وقال أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي رحمه الله تعالى : "وصاحب البدعة يؤمن ببدعته ، ويعتقد أنه على الحق فيها وأن غيره على الخلاف في مخالفته ببدعته فلا غيبة فيه في ذكره بها ، لأنه إن كان معلناً بها يجب أن يذكر بها . وإن كان مستتراً بها فواجب أن يذكر بها ويحفظ الناس من اتباعه عليها ... ".[٢]

وقال الحافظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى : "تجوز غيبة المبتدع بل ذكره بما عليه مطلقاً غائباً وحاضراً إذا كان المقصود التنبيه على حاله ليحذر ، على هذا مضى السلف الصالحون أو من فعل ذلك منهم .

ثم يجوز ذلك ابتداءً يبتدأ به وإن لم يسأل ، ويجوز عند جريان مسبب من سؤال وغيره . "[٣]

وقال العلامة القرافي رحمه الله تعالى كما في الفروق (٤/٢٠٥-٢٠٨) : "الفرق الثالث والخمسون والمائتان بين قاعدة الغيبة المحرمة ، وقاعدة الغيبة التي لا تحرم :-

قال تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ [الحجرات ١٢] ... إلى أن قال رحمه الله : " فدل هذا النص على أن الغيبة ما يكرهه الإنسان إذا سمعه ، وأنه لا يسمى غيبة إلا إذا كان غائباً . لقوله : (إن سمع) . فدل ذلك على أنه ليس بحاضر ، وهو تناول جميع ما يكره لأن (ما) من صيغ العموم .

---

(١) انظر أحوال الرجال للجوزجاني – رحمه الله تعالى – ص (٣٦و٣٧) .

(٢) الجامع من المقدمات له – رحمه الله تعالى – ص (٢٩٢) .

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٢/٤٩٧) .

ثم قال رحمه الله : تنبيه : -

قال بعض العلماء استثني من الغيبة ست صور :-

الأول : - النصيحة . لقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لفاطمة بنت قيس حين شاورته عليه السلام لما خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم : (أما معاوية فرجل صعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه) . فذكر عيبين فيهما مما يكرهانه لو سمعاه ، وأبيح ذلك لمصلحة النصيحة .

ويشترط في هذا القسم أن تكون لحاجة ماسة لذلك ، وأن يقتصر الناصح من العيوب على ما يخل بتلك المصلحة خاصة التي حصلت المشاورة فيها أو التي يعتقد الناصح أن المنصوح شرع فيها ، أو هو على عزم ذلك فينصحه وإن لم يستشره ، فإن حفظ مال الإنسان وعرضه ودمه عليك واجب ، وعن لم يعرض لك ذلك . فالشرط الأول : إحتراز من ذكر عيوب الناس مطلقاً لجواز أن يقع بينهما من المخالطة ما يقتضي ذلك فهذا حرام . بل لا يجوز إلا عند مسيس الحاجة ، ولولا ذلك لأبيحت الغيبة مطلقاً ، لأن الجواز قائم في الكل . والشرط الثاني احتراز من أن يستشار في أمر الزواج فيذكر العيوب المخلة بمصلحة السفر ، والعيوب المخلة بالزواج ، فالزيادة على العيوب المخلة بما استشرت فيه حرام . بل تقتصر على عين ، أو تعين الإقدام عليه ... إلى أن قال رحمه الله :

الرابع : - أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر الناس فسادها وعيبها ، وأنهم على غير الصواب ليحذرها الناس الضعفاء ، فلا يقع فيها ، وينفر عن تلك المفاسد ما أمكن بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق ، ولا يفتري على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصةً ، فلا يقال على المبتدع أنه يشرب الخمر ، ولا أنه يزني ، ولا غير ذلك مما ليس فيه . وهذا القسم داخل في النصيحة . غير أنه لا يتوقف على المشاورة ، ولا مقارنة الوقوع في المفسدة ومن مات من أهل الضلال ولم يترك شيعة تعظمه ، ولا كتباً تقرأ ، ولا سبباً يخشى منه إفسادٌ لغيره فينبغي أن يستر بستر الله تعالى ، ولا يذكر له عيب البتة وحسابه على الله تعالى " اهـ

وقد فصل الإمام النووي رحمه الله تعالى في بعض مصنفاته ما يجوز وما لا يجوز من الغيبة . فانظر رياض الصالحين (ص٤٨٩) . وروضة الطالبين (٧/٣٣-٣٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم ، والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين . حتى قيل لأحمد ابن حنبل الرجل يصوم ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإن تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين . هذا أفضل ". (١)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/١٣١) .

وقال رحمه الله أيضاً(١) : "وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية ولم يبق له غيبة ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره ، فلا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام إذا كان الفاعل لذلك متمكناً من ذلك من غير مفسدة راجحة ".

قلت : ومن جملة المنكرات البدع في العبادات والاعتقادات ، ولهذا قال رحمه الله تعالى كما في رسالة [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] ص٤٢: "ومن المنكرات كل ما حرمه الله ... وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - "وقال رحمه الله كما في مجموعة الرسائل (٥/١٠٩-١١١) : "ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً ... فإذا كان أقوامٌ منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم يبين للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله ". اهـ

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : " فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وعيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم ، ليس كلامنا الآن من هذا القبيل والله أعلم ، ومن عرف أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ولرسوله فإنه يجب أن يعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر علماء المسلمين الذين سبق ذكرهم وأمثالهم ومن تبعهم بإحسان .

ومن عرف أنه أراد برده عليهم التنقيص والذم وإظهار العيب فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه من هذه الرذائل المحرمة ". اهـ(٢)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : "ومنها جواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن حمية أو ذباً عن الله ورسوله ومن هذا طعن أهل الحديث في من طعنوا فيه من الرواة ، ومن هذا طعن ورثة الأنبياء وأهل السنة في أهل الأهواء والبدع لله لا لحظوظهم وأغراضهم ." اهـ(٣)

قلت : فهذه جملة من اقوال الأئمة رحمهم الله تعالى في هذا الباب وتتبع كلامهم مما يطول – والحليم تكفيه الإشارة – وينبغي هنا بيان ضوابط وشروط في غيبة وجرح المبتدع فدونك هي :-

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : "أما الحديث فليس هو من كلام النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ولكنه مأثور عن الحسن البصري أنه قال : أترغبون عن ذكر الفاجر ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس وفي حديث آخر – من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له – وهذان النوعان يجوز فيهما الغيبة بلا نزاع

(١) المصدر السابق (٢٨/٢١٧- ٢١٨) .

(٢) انظر الفرق بين النصيحة والتعيير ص (٣٢-٣٣) .

(٣) زاد المعاد (٣/١٨) .

بين العلماء أحدهما :- أن يكون الرجل مظهراً للفجور مثل الظلم والفواحش والبدع المخالفة للسنة ، فإذا أظهر المنكر وجب الإنكار عليه بحسب القدرة كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان) رواه مسلم . وفي المسند والسنن عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال : " أيها الناس إنكم تقرؤون القرءان وتقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير مواضعها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [المائدة - ١٠٥] وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) فمن أظهر المنكر وجب عليه الإنكار وأن يهجر ويذم على ذلك فهذا معنى قوله : " من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له " بخلاف من كان مستتراً بذنبه مستخفياً ، فإن هذا يستر عليه لكن ينصح سراً . ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ، ويذكر أمره على وجه النصيحة " اهـ [١]

وضوابط هذا الأمر يمكن إجمالها بما يلي : -

١- الإخلاص فيها وأن يقصد بالطعن على أهل البدع النصح للمسلمين ، وتحذيرهم من ذلك المبتدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣٥) : " ثم القائل في ذلك بعلم لا بد له من حسن النية ، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض ، أو الفساد ، كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياءً ، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل ، وليس هذا مخالفاً لقوله : (الغيبة ذكرك أخاك بما يكره) . "

٢- أن يلتزم عند غيبة المبتدع وبيان حاله للناس ، العدل [٢] في ذلك فلا يذكره إلا بما فيه على الحقيقة ، ولا يطعن عليه إلا بما فيه من خصال الشر المنفرة للناس منه لقوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة -٨].

٣- أن يكون المبتدع مجاهراً بالبدعة معلناً لها ، فأما من كان مستتراً ببدعته فهذا يستر عليه لكن ينصح سراً ، ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ، ويذكر أمره على وجه النصيحة . كما تقدم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

أن يكون المبتدع المتكلم فيه غير ميت فإن كان ميتاً فإنه لا تجوز غيبته ، ولا ذكر ما فيه من البدع ولا ذمه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/٢١٩-٢٢٠ .

(٢)ولا يقصد بالعدل هنا استعمال ذاك المنهج المبتدع . اعني منهج الموازنة بين الحسنات والسيئات . فتنبه .

بها بعد موته لعموم قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما في البخاري (٣/٢٥٨) رقم (١٣٩٣) : (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) .إلا أن يكون للميت كتب تقرر البدع أو اتباع ينشرون البدع بعده ، فإنه يحذر من ذلك الشخص فيذكر بما فيه ، لأن السبب المبيح لغيبته لا يزال قائماً وهو التأثر بكتبه وأتباعه ، وقد تقدم مثل هذا الكلام في كلام القرافي رحمه الله تعالى .

وينظر للمزيد في هذه الضوابط ما كتبه الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي في كتابه : (موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء) (٢/٥٠٦-٥٠٩).

المقصد الثاني : في بيان أن الكلام في أهل البدع والأهواء ليس سبباً لتفرقة الأمة :

زعم بعض من لا علم عنده بجمع الصفوف ، ووحدة الكلمة أن الكلام في أهل البدع والأهواء ، وتحذير الأمة منهم ، سبب لتفرقة الصفوف ، فكبرت كلمة تخرج من أفواه هؤلاء إن يقولون إلا كذباً .

ويا سبحان الله كيف لا يفهم هذا الفهم ويهتدي إليه أولئك الأئمة الفحول الراسخون في العلم ؟

هل يقال إنهم ممن يدعون إلى تفرق الأمة ، وتمزيق الصفوف ؟ فإن كان الجواب من أمثال هؤلاء الشانئين هو الإثبات .

فيا لله ، ويا للإسلام ، ويا للأئمة الدين ، وفقهاء الأمة من هذه ألفوا قر العظام ، والشتائم من هؤلاء اللئام الذين ما عرفوا قدر أنفسهم ! فنسأل الله السلامة والعافية .

وقد أورد هذه الشبه العليلة العلامة المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله تعالى في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) (٢٢٠/١) " فإن قيل : هل السكوت عن المبتدعة لازمٌ خوفاً من التفرق والزيادة في أسبابه لحديث جندب المتقدم (حديث اقرؤوا القرءان ما أتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه) خرجاه كما مضى ؟ قلنا: أما بيان بدعهم ، وكف شرهم على الوجه المشروع فواجب أو مستحب كما ثبت من النصوص الصحيحة في تصويب علي عليه السلام في حرب الخوارج ، وأجمعت الأمة على ذلك مع ظهور التأويل منهم ، والإجماع عليه " .

فينبغي أن يعلم ان خطر هؤلاء المبتدعة وأهل الهوى على الأمة عظيم فهم ينخرون جسد هذه الأمة نخراً ، ووجودهم هو بعينه سبب التفرق والاختلاف فهم داء عضال . وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الموضوعات (٥١/١) " قال ابو الوفاء علي بن عقيل الفقيه : قال شيخنا أبو الفضل الهمداني : مبتدعة الإسلام ، والوضاعون للأحاديث اشد من الملحدين ، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله ، والملحدون كالمحاصرين من الخارج ، فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له " .

وأوضح مثال على ذلك ما جاء مسطراً في صفحات التاريخ من قصة ابن العلقمي الرافضي مع التتار وتآمره على الإسلام كما في البداية والنهاية وغيرها .

وهذا والله داب أهل البدع على مر الأزمان ، وتوالي الدهور والأيام ، فخطرهم على البلاد والعباد والدين عظيم ، إنهم من تشرب بالهوى ، وباع الدين والآخرة بالأولى ، فصدق الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى إذ يقول كما في فتح القدير (١٢٣/١) عند قوله تعالى ﴿ولئن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾ [البقرة – ١٤٥] : " وقد تكون مفسدة اتباع أهوية المبتدعة اشد على هذه الأمة من مفسدة اتباع أهوية أهل الملل ، لأن المبتدعة ينتمون إلى الإسلام ، ويظهرون للناس أنهم ينصرون الدين ، ويبتغون أحسنه وهم على العكس من ذلك ، والضد لما هنالك ، فلا يزالون ينقلون من يميل إلى

أهويتهم من بدعة إلى بدعة ، ويدفعونه من شنعة إلى شنعة حتى يسلخونه من الدين ، ويخرجونه منه وهو يظن أنه في الصميم ، وأن الصراط الذي عليه هو المستقيم ، هذا إن كان في عداد المقصرين ، ومن جملة الجاهلين ، وإن كان من أهل العلم والفهم المميزين بين الحق والباطل كان اتباعه لأهويتهم ممن أضله الله على علم وختم على قلبه وصار نقمة على عباد الله ، ومصيبة صبها الله على المقصرين ، لأنهم يعتقدون أنه في علمه وفهمه لا يميل إلا إلى الحق ، ولا يتبع إلا الصواب فيضلون بضلاله فيكون عليه إثمه وإثم من اقتدى به إلى يوم القيامة . نسأل الله اللطف ، والسلامة والهداية " .

فواجب على الأمة أن تلوذ حول علمائها . أولئك العلماء الربانيون الذين يحيون ما أمات الناس من السنة ، ويميتون ما أحيوه من البدع ، الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ، ونطق بهم الكتاب وبه نطقوا .

وإياك يا طالب الحق أن تفتتن بمثل هذه الزخارف من أقاويل الجهال . والله المستعان .

المقصد الثالث : ذكر طائفة من تحذير السلف من أهل البدع والأهواء :-

قال أبو قلابة : " لا تجالس أصحاب الأهواء . أو قال : أصحاب الخصومات . فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون ". (١)

وحكى ابن وضاح عن غير واحد (٢) أن أسد ابن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : " اعلم أخي أنّ ما حملني على أن أكتب إليك ما أنكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس ، وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدعة ، وكثرة ذكرك لهم ، وطعنك عليهم فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر أهل السنة ، وقواك عليهم بإظهار عيبهم ، والطعن فيهم ، وأذلهم الله بذلك ، وصاروا ببدعتهم مستترين ... إلى أن قال : إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً يذب عنها ، وينطق بعلاماتها . فاغتنم يا أخي هذا الفضل ، وكن من أهله ".

وجاء أيضاً في البدع والنهي عنها (رقم ١٢٦/ص٩٩) قال ابن وضاح رحمه الله تعالى : أنا أسد قال : نا شهاب بن خراش الحوشبي عن العوام بن حوشب أنه كان يقول لابنه : " يا عيسى أصلح لله قلبك ، وأقل مالك ، وكان يقول : والله لئن أرى عيسى يجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل أحب إلي من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات – يعني أهل البدع – . "

وجاء أيضاً (برقم ١٤٤/ص١٠٧) : نا أسد نا رديح بن عطية عن يحيى بن أبي عمرو السيباني قال : كان يقال : يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة ، وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منها ".

وخرج ابن وهب عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال : " إني أرى أسرع الناس ردة أصحاب الأهواء . وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية في أصحاب الأهواء ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ...﴾ [الأنعام –٦٨] (٣)

وذكر الآجري رحمه الله تعالى في الشريعة واللالكائي (برقم ٢٣١) وابن بطة في الإبانة (١/٤٣) عن أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال : " والذي نفس أبي الجوزاء بيده لئن تمتلئ داري قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني رجل منهم ".

وخرج ابن وهب في النهي عن البدع (ص٣٨-٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن " (٤)

وروى الإمام أبو داود في سننه (رقم ٤٦١١) بسند صحيح أن معاذ بن جبل كان لا يجلس مجلساً

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢٢٧) وانظر الإبانة (٢/٤٣٥) واللالكائي رقم (٢٤٢) .

(٢) الاعتصام (١/٣٣-٣٤) .

(٣) المصدر السابق (١/٦٧) .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير. كما في المجمع (١/١٨٨) . وقال الهيثمي : " رجاله موثقون ".

للذكر إلا قال : " الله حكم قسط هلك المرتابون . إن ورائكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرءان حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والحر والعبد . يوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرءان ؟ ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره . فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، ويقول المنافق كلمة الحق ".

وقال مسلم بن يسار : " لا تمكن صاحب بدعة سمعك فيصب فيه ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك "(١)

وقال مفضل بن مهلل : " لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه حدثك ببدعته حذرته وفررت منه ، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك ". (٢)

وخرج ابن وهب عن أبي إدريس الخولاني أنه قال : " لإن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفائها أحب إليّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها ". (٣)

وذكر اللالكائي (برقم ٢٦١) عن الفضيل بن عياض أنه قال : " من أتاه رجل فشاورة فدله على مبتدع فقد غش الإسلام ، واحذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق ."

ونقل أيضاً (برقم ٢٦٢) وابن بطة في الإبانة (٤٢/١) عنه أنه قال : " لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة ".

ونقل عنه أيضاً اللالكائي (برقم ٢٦٤) وابن بطة في الإبانة (٤٢/١) قوله : " صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ، ولا تشاوره في أمرك ، ولا تجلس إليه . فمن جلس إلى صاحب بدعة ورثه الله العمى ".

ونقل اللالكائي عنه أيضاً (برقم ٢٦٧) أنه قال : " أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة ، وينهون عن أصحاب البدع ".

ونقل الآجري في الشريعة (٦٤/١) واللالكائي (برقم٢٥٩) عن يحيى بن ابي كثير انه قال : " إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق غيره ".

وذكر اللالكائي (برقم ٢٦٠) عن ابن المبارك انه قال لإسماعيل الطوسي : "يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجالس صاحب بدعة ".

وفي اللالكائي (برقم ٢٥٢) وابن بطة في الإبانة (٤٠/١) عن ايوب السختياني رحمه الله تعالى أنه قال : " قال لي ابو قلابة : يا أيوب احفظ عني أربعاً : لا تقولن في القرءان برأيك ، وإياك والقدر ، وإذا ذكر

(١) انظر الإبانة (٤٥٩/٢) .

(٢) الإبانة (٢/ ٤٤٤) .

(٣) الاعتصام (٨٢/١) .

أصحاب محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فأمسك ، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك ".

ونقل اللالكائي (برقم ٢٤٠) وابن بطة (١/ ٤٠) والدارمي في سننه (رقم ٤٠٧) عن الحسن أنه كان يقول : " لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ، ولا تسمعوا منهم ".

وجاء عند عبد الرزاق في مصنفه (برقم ٢٠٠٩٩) واللالكائي (برقم٢٤٨) وابن بطة (١/ ٤٠) عن معمر قال : " كان ابن طاووس جالساً فجاء رجل من المعتزلة . قال : فجعل يتكلم . قال : فأدخل ابن طاووس أصبعيه في أذنيه . قال : وقال لابنه : أي بني أدخل أصبعيك في أذنيك ، واشدد لا تسمع من كلامه شيئاً . قال معمر : يعني أن القلب ضعيف ".

وأخرج الآجري في الشريعة (١/ ٥٧) وابن بطة في الإبانة (١/ ٤٠،٤٤) واللالكائي (برقم ٢٩١) أن سلام بن أبي مطيع قال : " وقال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب : أسألك عن كلمة ؟ فولى أيوب وهو يقول : لا ولا نصف كلمة . مرتين يشير بأصبعه ".

وذكر ابن الجوزي في التلبيس (ص١٥) : وقال سعيد الكربري : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاءً شديداً . فقيل له : ما يبكيك أتجزع من الموت ؟ قال : " لا . ولكني مررت على قدري فسلمت عليه ، فأخاف أن يحاسبني الله عليه ".

واخرج اللالكائي (برقم ٢٥٦) عن عاصم الأحول قال : قال قتادة : "يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر ".

وأخرج اللالكائي (برقم ٢٧٣) عن إبراهيم بن ميسرة قال : "ومن وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ".

وذكر ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٠) واللالكائي (برقم ٢٤٩)عن عبد الرزاق قال : قال لي ابن أبي يحيى : "إني أرى المعتزلة عندكم كثير . قلت : نعم . وهم يزعمون أنك منهم . قال : أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك ؟ قلت : لا . قال : لم ؟ قلت : لأن القلب ضعيف ، وليس الدين لمن غلب ".

وأخرج ابن وضاح في البدع والنهي عنها (رقم ٥٣) والآجري (١/ ٥٧) واللالكائي (برقم ٢٤٢) عن سعيد بن عامر قال : سمعت أسماء تحدث . قال : دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء . فقالا : يا أبا بكر نحدثك بحديث . قال : لا . قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله ؟ قال : لا . قال : فقومان عني ، وإلا قمت . فقام الرجلان فخرجا . فقال بعض القوم : ما كان عليك أن يقرأ عليك آية ؟ قال : إني كرهت أن يقرأ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي ".

وأخرج اللالكائي (برقم ٢٣٩) بسنده إلى ثابت بن عجلان أنه قال : " أدركت أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وعبد الله بن أبي مليكة والزهري ومكحول والقاسم أبا عبد الرحمن وعطاء الخرساني وثابت البناني

والحكم بن عتبة وأيوب السختياني وحماد ومحمد بن سيرين وأبا عامر - وكان قد أدرك ابا بكر الصديق - ويزيد الرقاشي وسليمان بن موسى : كلهم يأمروني في الجماعة ، وينهوني عن أصحاب الأهواء ".

وفي السير (٨/٤٥٢) وقال محمد بن داود الحراني : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم في القدر - يعني إبراهيم بن أبي يحيى - فقال سفيان : عرفوا الناس أمره ، واسألوا ربكم العافية ".

وفي السير أيضاً (١٦/١٠٩) وقال بندار بن الحسين شيخ الصوفية الشيرازي : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق ".

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " لإن يلق الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يبتليه بالكلام "[(١)].

وقال رحمه الله تعالى : " حكمي في أصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام "[(٢)].

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى : " فالزموا - رحمكم الله - القرءان كلام ربكم عز وجل ، وسنن نبيكم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وما مضى عليه الصحابة والتابعون والفقهاء السابقون ، وأصحاب الآثار والسنن . وإياكم والآراء المحدثة في الدين ، وإياكم والبدع وأهلها ... ".[(٣)]

قلت : ومن زجر السلف رحمهم الله تعالى لأهل البدع والأهواء ترك السلام عليهم إن وجدت المصلحة من ذلك .

جاء في الإبانة الصغرى لابن بطة (ص١٦٢) والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/٤٣٥) عن حماد بن زيد قال : " كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم ، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ، ووقف وقفة فما ردوا عليه السلام . ثم جاز فما ذكروه ".

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : " لا ينكح أهل البدع ولا يُنْكَح إليهم ، ولا يسلم عليهم "[(٤)].

وفي السنة للخلال (١/٤٩٣-٤٩٤) أن رجلاً سأل الإمام أحمد رحمه الله تعالى فقال : " جار لنا رافضي . يسلم عليّ أرد عليه ؟ قال : لا . "

وقال النووي رحمه الله تعالى : " وأما المبتدع ، ومن اقترف ذنباً عظيماً ولم يتب منه ، فينبغي أن لا يسلم

---

(١) تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص (٣٣٥) . واللالكائي (١/ ١٤٦) . وابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه ص(١٨٢) .

(٢) انظر حلية الأولياء (٩/١١٦) والانتقاء ص(٨٠) والآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٢٥) .

(٣) انظر كتاب الدرة في ما يجب اعتقاده له - رحمه الله تعالى - ص(٤٣٥) .

(٤) المدونة (٩/٨٤) .

عليهم ، ولا يرد عليهم السلام . كذا قال البخاري وغيره من العلماء ".[(١)]

وقال المهلب بن احمد : " ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية ، وبه قال كثير من أهـل العلـم في أهل البدع ".

قال الحـافظ بن حجر رحمه الله تعالى: " وقـد ذهب جمهور العلمـاء إلى أنـه لا يسـلم على الفاسـق ولا المبتدع "(٢).

الفرع الخامس : عيادة المبتدع وصاحب الهوى :-

مما هو معلوم أن البدعة على قسمين :

١-بدعة مكفرة .

٢-بدعة مفسقة .

فأما المبتدع الكافر ببدعته فإن القـول في عيادتـه كـالقول في عيـادة الكفـار عامـة لدخولـه في دائـرة الكفـر فانطبق الوصف عليه .

قال الدكتور الرحيلي في كتابه الماتع (موقـف أهـل السـنة والجماعـة) (٤١١/١-٤١٢) : " فـلا تشـرع زيارة المبتدع إلا إذا غلب على الظن تحقق مصلحة من ورائها ، كاستجابة المبتدع إلى الدعـوة إلى السـنة ، وإقلاعه عن البدعة ، وتحقق بها أمر مشروع كصلة قريب ، أو إحسان إلى جار . لكن ينبغي أن يعلـم عنـد عيادة المبتدع الكافر صلة لرحمه أو إحسانا لجواره – وكان داعية لبدعته – أن هجره مشروع ، فـإن رجي من هجره بترك عيادته رجوعه عن بدعته ، وتوبته منها فإنه حينئذ لا يعاد . وجملة القـول أن عيـادة المبتـدع الكافر إنما تشرع في حالتين :

الحالة الأولى : – أن يرجى منها توبة المبتدع عن بدعته ، ورجوعه إلى الإسلام والسنة .

الحالة الثانية :– أن يتحقق بها أمـر مشـروع كصلـة رحـم أو إحسـان إلى جار أو غـير ذلـك مـن المصـالح المشروعة ، وهذه الحالة مقيدة بان لا يكون المبتدع معلناً ببدعته ، فإن كان كذلك ، فإن هجره مشـروع ، وعندئذٍ يراعى أي الأمرين أصلح . هجره أم عيادته ؟ فيقدم الأرجح منهما ، وذلـك بنـاءً علـى مـا جـرت عليه قاعدة التشريع من تقديم أعظم المصلحتين نفعـاً إن لم يمكن الجمع بينـهما ... إلى أن قـال : وأمـا إن كان المبتدع لم يبلغ ببدعته مبلغ الكفر ، وإنما محكوم لـه بالإسـلام ، فـإن عيادتـه جـائزة بـل إن عيادتـه في مرضه من جملة حقوقه على المسلمين ... وهذا إن كان المبتدع غير معلن لبدعته أما إن كـان معلنـاً لهـا فـلا بد من الإنكار عليه ، ومن ذلك ترك عيادته هجراً له ليتوب ". (٣)

---

(١) الأذكار ص (٢٢٨) .

(٢) الفتح (٤٠/١١) . وانظر للمزيد موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للرحيلي (٥١١/٢-٥٢٨) .

(٣) قارن بالإفادة لما جاء في المرض والعيادة . لابن حجر الهيتمي – رحمه الله تعالى – ص (٣٦) .

جاء في الآداب الشرعية لابن مفلح رحمه الله تعالى (١/٢٣٣) : " قال الخلال : قال أبو عبد الله : يهجر أصاحب المعاصي ، ومن قارف الأعمال الردية ... إلى أن قال : وذكر غيره في عيادة المبتدع الداعية روايتين ، وترك العيادة من الهجر ".

الفرع السادس : ترك التعبد خلف أهل البدع :– وتحته مقصدان :

المقصد الأول : مساجد المبتدعة : –

ينبغي على أهل الاتباع أن يسعوا في إقامة مساجد سنة ، فإذا ما وجدت فإنه يعول عليها في إقامة الشعائر وتعظيمها ، وتكون مجمع المصلين لتأدية الصلوات فرضاً ونفلاً خلف إمام من أهل السنة والجماعة .

وهذا هو الأصل الذي لا يحاد عنه . أما إذا انعدمت هذه المساجد فما وجدت إلا مساجد فيها البدع القولية والعملية فإن الواجب والحالة هذه هو البحث عن مسجد فيه السنة مقامة ، وأهله أهل سنة . فإن لم يوجد إلا أمثال تلك المساجد ، فإنه يصلى فيها مع إدلاء النصح وبيان البدع والتحذير منها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يمنع هذا أن يجتمع عقلاء تلك البلدة ممن يرجى فيهم الخير لتغيير تلك المنكرات ، وإصلاح المساجد من كافة ما يشوبها من البدع والعوائد ، فإن لم يحصل هذا فيتعاونون جميعاً في بناء المسجد الذي تقام فيه السنة ، وتعظم فيه الشعائر . والله الموفق والمعين .

وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلي :

سؤال : هل يمكن أن تهجر المساجد التي تكثر فيها البدع ؟

الجواب : ينبغي للمسلم أن يسع في إزالة هذه البدع ما أمكنه ، فإذا تعذرت إزالتها فإنه يتركها ، ويصلي في المسجد الذي ليس فيه بدع . وبالله التوفيق . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . (١)

---

(١) فتاوى إسلامية (١٤/٢) وانظر كتاب « كتاب البدع وما لا أصل له» ص (١٥٢) .

المقصد الثاني : الصلاة خلف أهل البدع :-

على التفصيل في نوعي البدع يفصل في الكلام على هذا المقام – حكم الصلاة خلف المبتدعة – فيقال : إن كان هذا الذي أظهر البدع ممن أخرجته بدعه عن الإسلام فلا تصح الصلاة خلفه ، ومن صلى خلفه والحالة هذه فإن صلاته باطلة ، لايسقط بها الطلب ، ولا تبرأ بها الذمة .

والقاعدة في هذا أن « من صحت صلاته في نفسه صحت صلاته بغيره . ومن بطلت صلاته في نفسه فلا تصح إمامته لغيره » . وهذا مما لا نزاع فيه بين الفقهاء .

و أما من أظهر البدع سواء كانت قولية أو فعليه وهي مفسقة لا تخرجه من الملة ، وإنما هو من جملة فسقة المسلمين .

فالصلاة خلفه جائزة ، وترك الصلاة خلف أمثال هؤلاء على اعتقاد انها لا تصح مخالف لطريقة السلف ، لكن من رأى ترك الصلاة خلفهم – مع الإقرار بجوازها – ولكن رأى تركها من جملة الهجر فلا نكير عليه . وقد تكلم على هذا المقام الآجري في الشريعة (ص٩١) وشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١/٦٣-٦٤) والشاطبي في الاعتصام (١/١٧٧) وابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٢٠) .

وأسوق كلاماً نافعاً في هذا المقام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من منهاج السنة (١/٦٣-٦٥):

" وكذلك تنازع الفقهاء في الصلاة خلف أهل الأهواء والفجور : منهم من أطلق الإذن ، ومنهم أطلق المنع ، والتحقيق أن الصلاة خلفهم لا ينهى عنها لبطلان صلاتهم في نفسها لكن لأنهم إذا أظهروا المنكر استحقوا أن يهجروا ، وألا يقدموا في الصلاة على المسلمين ، ومن هذا الباب ترك عيادتهم ، وتشييع جنائزهم كل هذا من باب الهجر المشروع في إنكار المنكر المنهي عنه ، وإذا عرفت أن هذا من باب العقوبات الشرعية علم أنه يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة وكثرتها ، وظهور السنة وخفائها ، وأن المشروع قد يكون هو التأليف تارة ، والهجران أخرى كما كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يتألف أقواماً من المشركين ممن هو حديث عهد بالإسلام ، ومن يخاف عليه الفتنة ، فيعطي المؤلفة قلوبهم ما لا يعطي غيرهم ... وكان يهجر بعض المؤمنين كما هجر الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك . لأن المقصود دعوة الخلق إلى طاعة الله بأقوم طريق ، فيستعمل الرغبة حيث تكون أصلح ، والرهبة حيث تكون أصلح " .

قلت : ومن الأدلة على هذا المقام ما في البخاري وغيره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكذا أنس بن مالك . وكان الحجاج فاسقاً ظالماً .

والأصل في هذا ما في البخاري من قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم ، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم) . ويجب أن يعلم أن المسلم ليس مكلفاً بأن يسأل عن اعتقاد إمام الصلاة ، بل الصلاة خلف المستور جائزة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فالصلاة

خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين ، ومن قال إن الصلاة محرمة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة ، وقد كان الصحابة يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقد كان يشرب الخمر ، وصلى بهم يوماً الصبح أربعا (١) ، وجلده عثمان على ذلك ، ولما انتهت الصلاة . قال لهم : تريدون أزيدكم ؟ قالوا : ما زلنا في زيادة منذ توليت الخلافة . كما في صحيح مسلم . وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج كما في البخاري . ولا يجب على المؤتم أن يسأل عن عقيدة الإمام أو يختبره ، بل يصلي وراءه ، ويحمله على الأصل فإن ظهر له بعد ذلك شيء يحكم بمقتضاه . أما إن كان في البلدة اكثر من مسجد فيترك المبتدع زجراً له . لا لأن الصلاة باطلة وراءه . اهـ (٢) .

وانظر شرح الطحاوية لابن أبي العز رحمه الله (ص٣٧٤) .

تنبيه : - ترك الصلاة على أهل المعاصي والفجور والمجاهرين بالبدع إذا ما توا من قبل أهل الفضل والصلاح والشرف في الدين مقيدة بشروط هي :

« الشرط الأول : أن يقصد بترك الصلاة على المعلن للبدعة الزجر والتأديب لغيره عن مثل فعله لأن الصلاة عليه غير جائزة قال ابن سيرين : " لا نعلم أحداً من أصحاب محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولا من غيره من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثماً " (٣) .

الشرط الثاني : أن يغلب على ظن التارك للصلاة عليهم تحقق تلك المصلحة ، وهي الارتداع والانزجار عن مثل فعل الميت ، وإلا لم يكن مشروعاً له ترك الصلاة على ذلك الميت ، فإن تركه الصلاة عليه من غير تحقق المصلحة المرجوة من ذلك تعطيلاً لأمر مشروع وهي الصلاة على ذلك المسلم ، من غير تحقق مصلحة راجحة ، بل إن المصلحة هنا معدومة ، وهذا مخالف لما جاءت به الشريعة من تحصيل أكثر المصالح ودرء أكبر قدر من المفاسد ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

الشرط الثالث: إنه في حالة ترك الصلاة على المبتدع المعلن لا بد أن يوجد في المسلمين من يصلي عليه ، ويدفنه من غير التاركين للصلاة عليه ، وإلا فلا يجوز ترك الصلاة على المبتدع ، وإن تحقق بذلك الترك مصلحة الزجر ، والعقوبة عن بدعته . فإن المفسدة الحاصلة بترك الصلاة على المسلم ، ودفنه أعظم من مفسدة ترك الزجر والتأديب عن البدع في هذه الحالة الخاصة . » (٤).

---

(١) الذي في مسلم أنها ركعتان . فتنبه .

(٢) انظر قاعدة أهل السنة في رحمة أهل البدع ص (٨٢٧) .

(٣) اللالكائي (٣/١٠٦) .

(٤) نقلاً عن كتاب موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (١/٤٣٢-٤٣٣) . بتصرف .

الفرع السابع : كتب أهل الأهواء والبدع :-

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه رقم (٦٠٤٠) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج قال : أخبرني موسى بن عقبة ، عن نافع عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال : (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل أن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه . فيحبه أهل السماء . ثم يوضع له القبول في الأرض) . ورواه مسلم رقم (٢٦٣٧) من طريق أخرى إلى أبي هريرة قال : رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : (إن الله إذا أحب عبدا . دعا جبريل . فقال : إني أحب فلانا فأحبه . قال : فيحبه جبريل . ثم ينادي في أهل السماء . فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه . فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه . فيبغضه جبريل . ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه . قال : فيبغضونه . ثم توضع له البغضاء في الأرض .) .

فالحمد لله الذي جعل لكتب أهل السنة قبولا عند عباده الصالحين ، وحبب قلوبهم إليها ، وكره لهم كتب أهل الزيغ والضلالة ، وهذا من فضل الله على أهل السنة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

فتلك كتب الأئمة الفحول الأعلام كالبخاري ومسلم ومن قبلهما ومن بعدهما تلق اهتماما كبيرا على مر الأزمان ، وتوالي الدهور والأيام ، وهذه كتب الرافضة الخبيثة ، وكتب التشيع المملوءة بالأحاديث الباطلة الوضيعة وغيرها من سائر الكتب الذميمة ، المملوءة بالبدع والآفات الشنيعة ، قد دفنت ونسيت إلا عند مطموس البصيرة ، الذي حاله كالبهيمة ، فلا يفرق بين الفضيلة ، ولا بين غيرها من الرذائل الوضيعة . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فعلى يقضان البصيرة ، أن يحرص على الكتب الرفيعة ، التي احتوت على العلوم والأحكام والمواعظ البليغة ، والتي تكفي من تأملها ، واعتكف على دراستها ، وتقيه من كل آفة وشبهة عليلة .

فوطن نفسك ياطالب الحق لها واجعلها بمثابة الجليس والصاحب الحريص المعين على الفضيلة .

واحذر كل الحذر من أن تقع اسيرا في أيدي الكتب والآفات الشنيعة . واعلم أن الجليس إما أن يكون صالحا معينا على جلب الخير والفضيلة ، وإما أن يكون جليس سوء معينا على جلب الشر وتحصيل الرذيلة . فخذها نصيحة ، بعبارة فصيحة ، احرص على اقتناء الكتب النافعة ، وإلا حصلت المصيبة العظيمة ، من فتنة الوقوع في الكتب الذميمة ، كتب أهل الأهواء والبدع المشينة .

فاحرص أيها السالك على الحق أن تكون كتب السلف في حوزتك ، فإنها كتب حوت الخير الكثير ، والفضل العظيم . وإياك وكتب أهل الأهواء والبدع فهي كتب يجب أن تترك « خوفا من الفتنة بها ، أو

ترويجها بين الناس ، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب » . (١)

جاء في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما من حديث عمران بن حصين أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال في الدجال : (من سمع به فلينأ عنه . فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبث به من الشبهات) (٢) .

وقد حذر النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – من قراءة كتب أهل الكتاب لما فيها من التحريف والتبديل . فعن جابر رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه أتى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فغضب فقال : (أمتهوكون يابن الخطاب . والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به . والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني .) (٣)

وقال ابن عبد البر القرطبي رحمه الله تعالى في كتابه جامع بيان العلم (١١٧/٢) : أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن قال : حدثنا إبراهيم بن بكرة قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد المصري المالكي قال في كتابه الإجارات من كتاب في الخلاف : قال مالك : " لا تجوز الإجارات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع ، والتنجيم . وذكر كتاباً ثم قال : وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب المعتزلة أصحاب الكلام وغيرهم ، وتفسخ الإجارة في ذلك . قال : وكذا كتاب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك .وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل الأهواء والبدع . قال : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام وكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غيره ، ولاتقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها أستتيب منها ."

وذكر الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٢٣٢/١) بإسناده إلى الفضل بن زياد قال : وسألت أبا عبد الله . عن الكرابيسي وما أظهر ؟ فكلح وجهه ثم أطرق ثم قال : هذا قد أظهر رأي جهم . قال الله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة – ٦] . إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها تركوا آثار رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وأصحابه واقبلوا على هذه الكتب ."

وساق اللالكائي رحمه الله تعالى : في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠١/١رقم ٣٢٢) بإسناده قال :

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد ص (١٥٩-١٦٠) .

(٢)صححه العلامة الألباني – رحمه الله تعالى – في صحيح الجامع رقم (٦٣٠) وتخريج المشكاة رقم (٥٤٨٨) . وشيخنا مقبل – حفظه الله تعالى– في الجامع الصحيح (٢٥٧/١) .

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٧/٣) والدارمي (١٢٥/١) وغيرهما وهو حسن كما في الإرواء (٣٣٨/٦) .

قال ابو محمد : سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع . يغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار . وينهيان عن مجالسة أهل الكلام ، والنظر في كتب المتكلمين ، ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبداً . قال أبو محمد : وبه أقول أنا . وقال شيخنا – يعني المصنف– : وبه نقول . " اهـ

وقال أيضاً برقم (٣٢٣) : "ووجدت في بعض كتب أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي رحمه الله تعالى مما سمع منه يقول : "مذهبنا وخيارنا اتباع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان وترك النظر في موضع بدعهم والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل : أبي عبد الله أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وأبي عبيد القاسم بن سلام والشافعي .ولزوم الكتاب والسنة والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار مثل : مالك بن أنس في المدينة والأوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر وسفيان الثوري وحماد بن زيد في العراق من الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – والصحابة والتابعين وترك النظر في كتب الكرابيسي ومجانبة من يناظل عنه وأصحابه ... " اهـ

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢٣٢/١) : "وذكر الشيخ موفق الدين رحمه الله تعالى في المنع من النظر في كتب المبتدعة قال: وكان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع لكلامهم " اهـ

وقال الحافظ سعيد بن عمرو البرذعي شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل : " إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما ينفعك . قيل له : في هذه الكتب عبرة فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وما أسرع الناس إلى البدع " وانظر تاريخ بغداد (٢١٥/٨) ، والتهذيب لابن حجر (١٢٤/٢) .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في الميزان (٤٣١/١) عقبه : " مات الحارث المحاسبي سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، واين مثل الحارث . فكيف لو رأى ابو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طالب ، وأين مثل القوت كيف لو رأى بهجة الأسرار لأبي جهضم ، وحقائق المسلمي ؟ لطار لبه . وكيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات ؟ وكيف لو رأى الفتنة للشيخ عبد القادر ؟ وكيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية ؟ بل لما كان الحارث لسان القوم في ذلك العصر ، وكان معاصره ألف إمام في الحديث فيهم أحمد وابن راهوية ، ولما صار أئمة الحديث مثل : ابن الدخميس وابن شجانة كان قطب العارفين كصاحب الفصوص ، وابن سبعين . نسأل الله العافية "

قلت : رحم الله الحافظ ابا عبد الله الذهبي . كيف لو طال به العمر ورأى مؤلفات أهل هـذا العصـر التي اتسمت بالتقصير ، والتفريط . بـل كيـف لـو رأى مؤلفـات بعـض أهـل عصرنـا ممن انتسـب إلى العلـم - (وكان كلابس ثوبي زور) والتي قد جمعت بدع السابقين واللاحقين . ومنهم من تألم منـه رحمـه الله تعالى . كأمثال الكوثري وتلامذته وهكذا الغزالي والقرضاوي وغيرهما ؟ كأني به فوق من طار لبـه . فنسـأل الله السلامة من كل شر ومكروه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الطرق الحكمية في السياسـة الشـرعية (ص٢٢٣) : " ومسـألة وضـع الكتب فيها تفصيل ليس هذا موضعه ، وإنما كره أحمد ذلك ومنع لما فيه من الاشتغال به ، والإعـراض عـن القرءان والسنة ، والذب عنهما ، وأما كتب إبطال الآراء والمذاهب المخالفة لها فلا بأس بـها ، وقـد تكـون واجبة ومستحبة ومباحة بحسب اقتضاء الحال . والله أعلم .

والمقصود أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهي أولى بذلك من إتـلاف آلات اللهو والمعازف ، وإتلاف آنية الخمر فإن ضررهـا أعظـم مـن ضـرر هـذه ، ولا ضمـان فيـها كمـا لا ضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها ".

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في زاد المعاد (٥١٨/٣) بعد ذكره لقصة توبة كعب بن مالك : " فيـه المبـادرة إلى إتلاف ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين ، وإن الحـازم لا ينتظر بـه ولا يؤخـره ، وهـذا كالعصـير إذا تخمر ، وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر والشر ، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه " .

قلت : وقد أفتى بعض علماء المغرب بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . قال الحافظ ابن كثير رحمـه الله تعالى في البداية والنهاية (١٧٤/١٢) : " وقد شنع عليه ابـو الفـرج ابـن الجـوزي ثـم ابـن الصـلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً ، واراد المازري أن يحرق كتابه احياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربـة ، وقـالوا : هذا كتاب احياء علوم دينه ، وأما ديننا فإحياء علومه كتـاب الله وسـنة رسـوله كمـا قـد حكيـت ذلـك في ترجمته من الطبقات " .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في الصـوارم الحـداد (ص٦٦-٦٧) : " وبمثـل هـذا الجـواب أجـاب جماعة من العلماء الذين تأخر عصرهم عن عصر هؤلاء المجيبين في سؤال ورد إليهم وصرحوا بأن ذلك كفـر منهم : العلامة البلقيني الشافعي المجتهد ، والحفـظ ابـن حجـر العسـقلاني ، ومحمـد بـن عرفـة المـالكي عـالم إفريقية ، والقاضي بالديار المصرية عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون الحضرمي المـالكي . وقـال في اثناء جوابه : " وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسـخها بـأيدي النـاس . مثل : الفصوص ، والفتوحات لابن عربي . والبدّ لابن سبعين ، وخلع النعلين لابن قسـي ، وعلـى اليقـين لابن برجان ، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتـب ،

وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة الثانية من نظم ابن الفارض . فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالحريق بالنار والغسل بالماء . إلى آخر ما أجاب به ... ".[1]

قلت : ما أجمل ما جاء في سير أعلام النبلاء [2] من قول الحافظ الذهبي رحمه الله في صدد كلامه على الغزالي أبي حامد !

قال :" وحبب إليه إدمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا ، وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قتال ، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لتلف . فالحذر الحذر من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبهة الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة . فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية ، وليدمن من الاستعانة بالله ، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة وسادة التابعين . والله الموفق . "

فهذه طائفة من أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى في حكم النظر وكذا إتلاف كتب أهل البدع والزيغ والمقالات المضلة ، والتي كثرت واستفاضت في عصرنا هذا والتي لو جمعها الجامع لجاءت في مجلدات . والله المستعان . وقد جمع بعض حذاق عصرنا من أهل السنة من هذا الكثير كما فعل الشيخ الفاضل : مشهور بن حسن بن سلمان في كتابه الماتع (كتب حذر منها العلماء) فجزاه الله خيراً .

وبالجملة : - فما سبق من تقرير حكم النظر في كتب أهل البدع والأهواء إنما هو في حق من لا يؤمن عليه فتنتها . وأما من كانت الفتنة في حقه مأمونة لكونه على علم متين وعقيدة صحيحة فإنه إذا أراد أن ينظر في أمثال تلك الكتب ، وكان غرضه في ذلك ومنتهى إربه « من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم والرد عليها فلا باس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به ، وكان قادراً على الرد عليه بل ربما كان واجباً . لأن رد البدعة واجب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب» [3] .

وإليك يا طالب الحق بعض من كتب الزيغ والضلال . قال شيخنا ابو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله تعالى وعافاه من آلامه كما في قمع المعاند (٢/٥٠٤-٥٠٥) : "وأما كتب الزيغ والضلال فكتب الشيوعية ، والبعثية ، وكتاب القذافي الذي وزع في عام من الأعوام في معرض الكتاب ، ولا مجال لسردها ولذكرها بأكملها ، وكذلك كتب الصوفية فلا ينبغي أن يعتمد عليها ، وكتب الرافضة والشيعة هاهنا [أي في اليمن] لا ينبغي أن يعتمد عليها . وكتب الأدب التي ربما تثير الغرائز الجنسية لا يعتمد عليها ، وكتب أصحاب الحداثة لا ينبغي أن يعتمد عليها [4] . وكتاب الأغاني للأصفهاني فقد رد عليه

(١) انظر تمام جوابه في العقد الثمين (٢/١٧٨-١٨١) .

(٢) السير (١٩/٣٢٨-٣٢٩) .

(٣) من كلام للشيخ العلامة محمد صالح العثيمين – حفظه الله تعالى- كما في شرح اللمعة ص (١٦٠) .

(٤) وينظر في هذا ما كتبه عوض بن محمد القرني في رسالته « الحداثة في ميزان الإسلام» .

بالسيف اليماني في نحر الأصفهاني . وتفسير المنار فهو يعتبر من كتب الزيغ والضلال ، وقد ذكرنا شيئا من هذا في (ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر وبيان بعد محمد رشيد رضا عن السلفية) . وكتب ابن عربي مثل الفصوص ، والتفسير ، فهو صوفي خبيث كافر (١) أكفر من اليهود والنصارى فلا ينبغي أن يعتمد على كتبه ، وكتب الغزالي الأخيرة ونعني – محمد الغزالي – مثل : دستور الوحدة الثقافية ، وهموم داعية ، ومثل السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث . وعلى كل فلا يعتمد على كتبه . ومن الكتب الزائفة كتاب بدائع الزهور فلا ينبغي أن يعتمد عليه ، وأيضاً كتاب تنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي ، وكتاب عيون المعجزات لرافضي أثيم فيه الكفر البواح ، والكافي للكليني أيضاً وكتاب أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ، وكتاب سلوني قبل أن تفقدوني ، ومتن الأزهار ، وشرح الأزهار ، وتفسير الزمخشري . معتزلي لا يعتمد عليه وهو جاهل في الحديث يصحح ما يهوى ، ويضعف ما لا يوافقه . وايضاً كتب الحزبيين – كونوا على حذر من كتب الحزبيين – والترابي أيضاً له كتب وهو من ذوي الزيغ والضلال . وأبو رية أيضاً صاحب اضواء السنة ، وهي في الحقيقة ظلمات على السنة . وهو ضليل من ائمة الضلال . وأشعار المقالح لا ينبغي أن يعتمد عليها بل في ديوانه بعض الكفريات . وكتب السحر والشعوذة مثل شمس المعارف ، وكتاب الرحمة ، ... وكتب ابن علوان مثل كتاب المهرجان . ومنشورات صاحب بيت الفقيه ، دجال من الدجاجلة ، وقد تكلمنا على شيء من ترهاته في (إرشاد ذوي الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن) وكتاب طبقات الشعراني والميزان له أيضاً من كتب الزيغ والضلال ، والمجلات التي تأتي من قبل أعداء الإسلام . أو يكتبها الحزبيون .

وينبغي لطالب العلم أن يبتعد عن هذه الكتب ، كتب الزيغ والضلال والجرائد والمجلات . لا ينبغي لطالب علم أن يشتغل بها لكن العالم الذي لديه القدرة على الرد فلا بأس أن يأخذها من أجل الرد عليها . وكتب الموالد بجميع أنواعها وأشكالها ينبغي أن يبتعد عنها ، وكتاب علي من اللحد إلى المهد من كتب الزيغ والضلال . ومن الكتب الطامة ما كتبه يوسف هاشم الرفاعي . الذي طبعه أهل الحديدة على حسابهم – علماء اليمن ومخرفوا اليمن – قولوا : جهلاء اليمن ، ولا تقولوا علماء اليمن ففيه إساءة إلى اليمنين كلهم بأنهم على خرافة ، أما اليمنيون فهم بريؤون مما احتوى عليه ذلكم الكتاب من الضلال ، وكان ينبغي أن نفصل في هذه شيئاً ولكن الوقت لا يتسع للتفصيل . (٢)

وأختم هذا المقام بما جاء في السير (٢١/٣٤-٣٦) في ترجمة أبي طاهر السلفي رحمه الله تعالى إذ قال :

---

(١) انظر : « تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي » لبرهان الدين البقاعي – رحمه الله تعالى – .

(٢) لأن أصل الكلام المساق إنما هو عبارة عن محاضرة لشيخنا – حفظه الله تعالى– .

قلت : ومن أراد الوقوف على تفصيل في هذا الباب فليراجع « كتب حذر منها العلماء» للشيخ مشهور بن سلمان – رعاه الله تعالى– .

وهاأنا شارع في شرح ديني ... ووصف عقيدتي وخفي حالي
وأجهد في البيان بقدر وسعي ... وتخليص العقول من العقال
بشعر لا كشعر بل كسحر ... ولفظ كالشمول بل الشمال
فلست الدهر إمعة وما إن ... أزل ولا أزول لذي النزال
فلا تصحب سوى السني ديناً ... لتحمد ما نصحتك في المآل
وجانب كل مبتدع تراه ... فما إن عندهم غير المحال
ودع آراء أهل الزيغ رأساً ... ولا تغررك حذلقة الرذال
فليس يدوم للبدعي رأي ... ومن أين المقر لذي ارتحال
يوافي حائراً في كل حال ... وقد خلى طريق الاعتدال
ويترك دائباً رأياً لرأي ... ومنه كذا سريع الانتقال
وعمدة ما يدين به سفاهاً ... فأحداث من ابواب الجدال
وقول أئمة الزيغ الذي لا ... يشابهه سوى الداء العضال
كمعبد المضلل في هواه ... وواصل أو كغيلان المحال
وجعد ثم جهم وابن حرب ... حمير يستحقون المخالي
وثور كاسمه أو شئت فاقلب ... وحفص الفرد قرد ذو افتعال
وبشراً لا رأى بشرى فمنه ... تولد كل شر واختلال
وأتباع ابن كلاب كلاب ... على التحقيق هم من شر آل
كذاك أبو الهذيل وكان مولى ... لعبد القيس قد شان الموالي
ولا تنس ابن أشرس المكنى ... أبا معن ثمامة فهو غالي
ولا ابن الحارث البصري ذاك ... المضل على اجتهاد واحتفال
ولا الكوفي أعنيه ضرار بن ... عمرو فهو للبصري تالي
كذاك أبو الأصم ومن قفاه ... من أوباش البهاشمة النغالي
وعمرو كذا اعني ابن بحر ... وغيرهم من اصحاب الشمالي
فرأي أولاء ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيل وقال
وكل هوى ومحدثة ضلال ... ضعيف في الحقيقة كالخيال
فهذا ما أدين به إلهي ... تعالى عن شبيه أو مثال
وما نافاه من خدع وزور ... ومن بدع فلم يخطر ببالي

قال أبو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى : " صدق الناظم رحمه الله وأجاد . فلئن يعيش المسلم أخرس أبكم خير له من أن يمتلأ باطنه كلاماً وفلسفة ". "

الفصل الرابع

١-الكلام على عبارة (نجتمع فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) :

إن مما ينبغي أن يعلم هاهنا أن مرد العبارات والأقوال إلى الكتاب والسنة فما وافقهما وجرى عليه فهم السلف الصالح فهو الحق الذي يجب أن يعتنى به ويعول عليه ، وما كان مصادماً للكتاب والسنة فمردود على قائله كائناً من كان علماً وفضلاً ومكانة فضلاً عن أن يكون ممن دون هؤلاء من جهال وأوباش .

وجملة ما يقال في العبارة السابقة : إن كانت كما يفهم من واقع من يتغنى بها على إطلاقها فهذا هو عين الكذب والتزوير والتضليل على من لا علم عنده ، ويقال لمن دأبه التغني بتلك العبارة على إطلاقها .

أتريد بجهلك أن تهدم وتعطل باب النصيحة والتواصي بالحق الذي فرغ منه استدلالاً ؟ !!

ثم يا ليت شعري ما مراد من يتغى بها بقوله : (فيما اختلفنا فيه) . أهو اختلاف التنوع و الأفهام ؟ أم هو اختلاف التضاد ؟ أهو اختلاف في الأحكام وموارد الاجتهاد ؟ أم هو اختلاف في الاعتقاد بين الحق والباطل ؟ !

فإن كان مراد القائل هو الأول فيقال حيئذ هذا حق بل هو من أعظم غايات الدين لكن إذا اقترن بالنصيحة فإنه لا بد منها . وإن كان المراد هو الثاني : فهو الباطل الذي يجب رده لأن العبارة تصبح شعاراً للتجميع دون تمييز بين حق وباطل ، ولا بين سنة وبدعة بل ولا بين توحيد وشرك .

ويا لله كم هدمت تلك العبارة من اركان وواجبات فهي تقوم على تبني مبدأ الخلط والمداهنة لأهل الأهواء والبدع والتنازل عن الرد عليهم وزجرهم وهذا هو عين الباطل عند التأمل .

وعلى هذا فالعبارة بهذا المفهوم تستحق أن تهدم وتدفن وينكر على قائلها غاية الإنكار حماية للعقيدة وذباً عن مبدأ الولاء والبراء . وينبغي أن يحذر المسلم من أمثال تلك العبارات التي تصدر من عدم علم وبصيرة ودراية في الدين عند قائليها . وإلى الله المشتكى .

ومن تأمل بعين الإنصاف إلى طريقة القوم ومنهجهم يجدهم قد جعلوا تلك العبارة الساقطة منهجاً وسلوكاً لهم في التعامل مع غيرهم !! .

فياليتهم حصروها على نطاق المسلمين . بل الطامة الكبرى ، والفضيحة العظمى ، جعلهم إياها منهجاً في التعامل مع اليهود والنصارى والرافضة . إن القوم قد سافروا سفراً بعيداً ، وتبنوا قولاً عظيماً .

فما بالهم يطعنون في الإسلام باسم الإسلام ، فقد اصبح وأضحى وأمسى الإسلام يئن من مقالاتهم ، وسوء صنيعهم ، فليعلموا أن الأمة في غنية منهم ومن أمثالهم الذين ميعوا الإسلام ، وهدموا قوائمه بتحالفهم مع البعثية والملل الكفرية ، وأخرى مع الروافض . ويسعون غاية السعي في التقريب بين السنة والشيعة . بل اعظم من هذا سعيهم في توحيد الأديان السماوية . قطع الله دابرهم ودابر أمثالهم من أهل الضلال والزيغ . ونسأل الله أن يسخر لهذه الأمة من يبصرونها بدينها وينقونها مما شابها من بدع وضلال

. وهم مع هذا لا يفرطون في هذا الدين ، ولا يحملون النصوص ما لا تحتمل ، ولا يميعون منهج الولاء والبراء . بل ولا « يرغبون عن طرائقهم من الاتباع ولو نشروا بالمناشير ، ولا يستوحشون لمخالفة أحد بزخوف قول من غرور أو بضرب أمثال زور » [1] .وقد فعل الله ذلك فله الحمد والمنة .

فنصيحتي لمن له أدنى تعلق بأولئك القوم أن يتذكر وقوفه بين يدي الله تعالى . يوم يأتي وقد فرط في دينه وشرعه . فالرجوع الرجوع إلى منهج وطريقة السلف أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً وأحسنها حالاً . قوم اختارهم الله لصحبة نبيه -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم دينهم وفضلهم ، واتبعوهم في آثارهم فهم على الهدي المستقيم ، [2] ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فكن يا أخي مقتدياً لا مبتدياً ، ومتبعاً لا مبتدعاً . وفقنا الله جميعاً لطاعته ، وأمننا الفتنة في دينه .

٢-الكلام على عبارة (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) :

هذه العبارة اشتهرت عند المتأخرين ، وهي عبارة متعسفة المعنى ، مهدومة المبنى ، بعضها يستدعي على بعض . وعند التأمل يعرف الناظر مدى بطلانها . وسأكتفي بما ذكره علماؤنا حولها من ردود علمية وفوائد وفرائد يرحل إليها فدونك ما ذكروا :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في الفتاوى (٤/١٥٧) : "وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف . ويقولون : (طريقة السلف أسلم ، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم) فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان ، والتحقيق والعرفان ، والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه أو الخطأ والجهل . وغايتهم عندهم : أن يقيموا أعذارهم في التقصير والتفريط ، ولا ريب أن هذه شعبة من الرفض ، فإنه وإن لم يكن تكفيراً للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ، ولا تفسيقاً لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم - كان تجهيلاً لهم ، وتخطئة وتضليلاً ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي ، وإن لم يكن فسقاً فزعماً : أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة ، ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير القرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة - أن خيرها القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من غير وجه ، وأنهم أفضل من الخلق في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان من لكل مشكل . هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩) .

(٢) جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه- كما في ذم الكلام للهروي ص(٢٦٧) .

، واضله الله على علم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة . أولئك أصحاب محمد : أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه . فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم " . وقال غيره : " عليكم بآثار من سلف فإنهم جاؤوا بما يكفي وما يشفي ، ولم يحدث بعدهم خير لم يعلموه " .

وقال رحمه الله أيضاً (٥/٨-١١) : " ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها . من أن (طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيح . فإن هؤلاء المبتدعين الذين طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرءان والحديث من غير فقه لذلك . بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة – ٧٨] . وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات . فهذا الظن الفاسد [تلك المقالة] التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وظلوا في تصويب الخلف . فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ... إلى قوله : ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية من الجهالة بل في غاية الضلالة . كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول : "

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار إلا واضعاً كف حـائر ... على ذقن أو قارعاً سن نـادم

إلى قوله رحمه الله : " ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتدار كني ربي برحمته فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أمي . " ثم قال : هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا خفق عليهم الأمر لم يوجد من حقيقة العلم بالله ، وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر . كيف هؤلاء المحجوبون المفضولون ، المنقوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون : اعلم بالله وأسمائه وصفاته واحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ،

وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ولا سيما بالله وأحكامه وأسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم – أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان – وورثة المجوس وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم : أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرءان والإيمان» اهـ بتصرف .

قال العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى : " ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريقة السلف أسلم ولكن زعموا أن طريقة الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محقوقهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هنيئاً للعامة فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنئ من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط ، ويتمنى أنه في عدادها ومن يدين بدينهم ويمشي على طريقهم ، فإن هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير ، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه وينتهي عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلاً به عاطلاً عنه ، ففي هذا عبرة للمعتبرين ، وآية للناظرين ، فهلا عملوا على جهل المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها ، وقالوا كما قال القائل :

أرى الأمر يفضي إلى آخر ... يصير آخره أولاً

وربحوا الخلوص من هذا التمني ، والسلامة من هذه التهنئة ، فإن العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهنئ لمن هو دونه أو مثله ، ولا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيا لله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبةً منه وأفضل مقدار بالنسبة إليه ، وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها ؟ .

وإذا كان حال هذه الطائفة التي عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفاً وأقلها تبعةً فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها ، وتبين بطلان مواردها ومصادرها ، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كبار الإسلام وأهله ، والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتنفير أهله عنه ، وعند هذا تعلم أنّ :

خير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم ، والاهتداء بهديهم ، يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم . والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ، ولا ينكره منكر ، ولا يجادل فيه مجادل ، وإن نزغ به نازغ ، أو نجم في عصرهم ناجم ، أوضحوا للناس أمره ، وبينوا لهم أنه على ضلالة بذلك في المجامع والمحافل ، وحذروا الناس من بدعته كما

كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا : إن الأمر أنف ، وبينوا ضلاله وبطلان مقلته للناس فحذروه إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة "(١).

قال العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى : " مذهب السلف هو المذهب المنصور ، والحق الثابت المأثور ، وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ، ولكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والإيمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص ، فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه — ممن لا يقدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها — من أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرءان والحديث من غير فقه ذلك ... " (٢).

قلت : العبارة لمن تأملها موصوفة بالتناقض ، فبعض ألفاظها يتداعى على البعض الآخر فهي كاذبة صادقة صادقة في أولها وكاذبة بعجزها فكون طريقة السلف أسلم هو وصف لمذهب السلف بكونه أسلم« وهي صيغة تفضيل من السلامة وما كان يفوق غيره ويفضله في السلام فلا شك أنه أعلم منه وأحكم » .(٣)

فكفى بهذا برهاناً على فساد العبارة مبنى ومعنى . والله المستعان .

فمتى علم العاقل أن السفيه الذي جانب الحكمة سليماً ، وأنى له أن يكون سليماً وهو جاهل ؟ فاعتبروا يا أولو الألباب . (٤)

---

(١) انظر التحف في مذاهب السلف ص (٣٦-٣٧) .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية له — رحمه الله تعالى — (٩/٢٥) .

(٣) من كلام للعلامة الشنقيطي — رحمه الله تعالى — في رسالة مطبوعة باسم « منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» ص (٣٩-٤٠) .

(٤) انظر للمزيد معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد — حفظه الله تعالى — ص(٤٩٨) ومختصر العلو(المقدمة) للشيخ الألباني — رحمه الله تعالى — وقد وصفها كما في الصحيحة بأنها خرافة .

تبصرة وتذكرة

١- قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " لا يدرك معاني القرءان ، ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة ، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه ، وأن يفهمه كما ينبغي " . [١]

٢- قال الزركشي رحمه الله تعالى : " اصل الوقوف على معاني القرءان التدبر والتفكر ، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقةً ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيث المعرفة ، وفي قلبه بدعة أو إصرار إلى ذنب ، وفي قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر ، أو يكون راجعاً إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض ... "[٢].

٣- قال العلامة ابن القيم أيضاً : " ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته ... "[٣] .

٤- وقال أيضاً في المدارج (٣٧٢/١) في صدد الكلام على - القول على الله بلا علم - : " فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ، ولا أشد إثماً . وهو أصل الشرك والكفر ، وعليه أسست البدع والضلالات . فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم . ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها . وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض ، وحذروا فتنتهم اشد التحذير ، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش ، والظلم والعدوان . إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد ، وقد أنكر الله تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله . فقال : ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ [النحل - ١١٦] .

٥- قال رحمه الله تعالى (ص٣٧٤) من المصدر المتقدم : " فإن السنة بالذات تمحق البدعة ولا تقوم لها ، وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة ، وأزالت ظلمة كل ضلالة . إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس . ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة ، ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة إلا المتابعة والهجرة بقلبه كل وقت إلى الله بالاستعانة ، والإخلاص ، وصدق اللجوء إلى الله ، والهجرة إلى رسوله بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهديه وسنته . (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) ومن هاجر إلى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة . والله المستعان . "

---

(١) التبيان في أقسام القرءان ص (١٤٣) .

(٢) أنظر البرهان في علوم القرءان (١٨٠/٢-١٨١) .

(٣) انظر كلامه في فوائد الفوائد للشيخ علي الحلبي - حفظه الله تعالى - ص(١١٤) .

الخاتمة

في نهاية هذا المختصر انصح إخواني من أهل السنة أن يعتصموا بمنهج الكتاب والسنة المحروس بفهم سلف الأمة ، وخير قرونها بعد نبيها –صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ، وأن يعضوا عليه بالنواجذ . ثباتاً على هذا المنهج القويم حتى يأتي اليقين من عند الله رب العالمين . فهذا المنهج هو الحصن الحصين من فتن الشهوات والشبهات وغرور الشياطين :

فيه نجاة العبد في دنياه وسعادة يحضاها في أخراه

ومن تأمل أحوال المسلمين ، وكيف أصبح أضحى وأمسى وبات حالهم وواقعهم الأليم جزم وأيقن بأن هذا المنهج هو المتعين ، والمخرج الوحيد لما حل في ديارهم من الشر والضعف والانحطاط ومظاهر التفرق . فلا مخرج لهذه الأمة إلا بالرجوع الكلي الصادق إلى هذا المنهج ، والرضى به ، والسير في ركابه منشطاً ومكرهاً ، وعسراً ويسراً ، وظاهراً وباطناً ، وعبادةً ومنهجاً وسلوكاً .

فيا أهل السنة : أنتم الغرباء . فاستوصوا ببعضكم خيراً ، واثبتوا على هذا المنهج ، واعلموا أن السنة فضلها في الإسلام كفضل الإسلام على سائر الأديان . قال الإمام أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى : " السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان "[1].

وإياكم والتفريط بهذه السنة ولو بقيد أنملة . فأنتم من اختاركم الله واجتباكم فأسبغ عليكم هذه النعمة العظيمة ، وهو فضل منه سبحانه وتعالى كبير ، يستلزم منا الشكر الكثير .

فإذا تعين هذا المراد . فمن لهذه الأمة في مقام التوجيه والإرشاد والذب عن السنة وأهلها وقمع البدعة وأهلها ؟ إن لم تكونوا أنتم يا أهل السنة الذين نصرتم هذا المنهج ، وقمتم به ، وضحيتم في سبيله بالغالي والرخيص والنفس والنفيس . فلا ندري والله من سيكون غيركم ؟؟ .

وبالجملة : – فعلى أهل السنة أن يبصروا الأمة بحال سلفها من حيث الثبات والسلوك والمنهج والعبادة والعلم ، وسائر أمور الدين ، فهم مصابيح الدجى ، وقولهم هو القول الأولى ، وفهم هو المقدم في سائر ما تقدم .

ولتعلم يا طالب الحق : أنه لا بد من العلم والنور والبصيرة في مجال الدعوة إلى الله عز وجل ، وهذا الأمر لا يخفى على من له أدنى مسكت عقل . فإذا تقرر هذا تعين توجيه الناس ، وأفراد الأمة إلى تعلم العلم النافع كل بحسبه وبقدر طاقته ، وبهذا كله تعرف السنة من البدعة ، والضلالة من الهدى ، وأهل الحق من أهل الباطل ، بل توزن جميع الأمور بميزان الشرع . فينظر في كل أمر استجد وطرأ فيقال فيه « لو كان هذا لشاع وانتشر ، وكان يضبطه طلبة العلم ، والخلف عن السلف ، فيصل ذلك إلى عصرنا . فلما لم

---

(١) اللالكائي (١/٦٥–٦٦) .

ينقل هذا أحد ممن يعتقد علمه ، ولا ممن هو في عداد العلماء . علم أن هذه حكاية العوام والغوغاء » [1].وهذه قاعدة متينة للتفرقة بين البدعة والسنة . وفق الله الأمة لفهمها فهو الهادي إلى طريق الحق ، والصراط المستقيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قاله بلسانه وخطه بقلمه

أبو العباس / نصر بن صالح بن محمود الخولاني

اليمن – إب (*)

(١) كلام متين للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرشوشي من كتابه « الحوادث والبدع » ص(٧٤-٧٥) .

(*) كان الانتهاء من أصل هذه الرسالة في (٤/شعبان . عام ١٤١٥هـ) . ثم حررتها وزدت عليها فكان الانتهاء منها في يوم الأحد (٥/رجب . عام ١٤١٩هـ) . والله الموفق إلى كل خير .